مجلة المنار

المجلد الخامس

الجزء التاسع عشر والعشرون

إهداء من

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net شبكة الألوكة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر الخميس ١٦ شوال سنة ١٣٢٠ — ١٥ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣)

﴿ باب العقائد ﴾

﴿ رأي في علم الكلام . وطريقة في اثبات الوحي ﴾

(لعالم عامل وكاتب فاضل)

سلامٌ عليكم أيها القارئون ورحمة الله وبركاته . وانعامه واكرامه .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه كلمات قليلة قدمتها لكم على صفحات هذه المجلة النافعة . اشير فيها لبيان شيء من حال علم الكلام وأختمها بذكر طريقة سهلة للسالك قريبة للآخذ في اثبات الوحي .

— الذي دعاني لتحرير هذا —

كيفما التفت الإنسان بحسه أو فكره لا يجد شيئاً إلاَّ وشيء آخر يقابله هو ضد له . وكيفما تقلب لا يلفي نفسه إلا بين شيئين يسمى أحدهما « المحبة » والآخر « النفرة » . وكيفما تحرك فهو إما طالب لما يحب وإما هارب مما ينفر . ياويح الانسان الذي يشتغل مدة حياته بالطلب والهرب . ثم ياويحه حين يرى لما يطلبه طلاّبا كثيرين يزاحمونه وينازعونه . ثم حين يجد نفسه غير مستقلٍ فيما يحب وينفر . يحب شيئاً ، فيعاتب ، ويكره شيئا فيعاقب ، ثم ياويحه حين يعلم افراد نوعه متضادّين ومتجادلين من أجل التضادّ .

هذا الجدال قد يحتدم بين الاخوة بني النوع من أجل الاحتياج الذي فطروا عليه وقد يكون الاحتياج دواءً مسكّناً من هذا الفليان . وطالما شوهدت أشياء مثل الاحتياج تكون داءً ودواءً

من أجل الاحتياج يتفرق النوع ويتخاذل ، ومن أجله يلتئم ويتعاون ، وليس كل احتياج منشأه الضرورة بل كثير منه منشأه حب التميز . ومن فضل الخالق أن جعل كلاً محتاجاً ومحتاجاً اليه . المُطعمون محتاجون للكاسين ، والكاسون محتاجون للمطعمين ، والفريقان محتاجان للبانين ، والثلاثة محتاجون للبانين ، والاربعة محتاجون للحافظين ، وحقول الكل محتاجون للاثاث ، واثاث الكل محتاجون للمحمول ، والكل حريصون على تحصيل [illegible] والكل محتاجون للشارعين الذين يشرعون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحدود والحقوق، والكل محتاجون مع العمل الى العلم والمعلمين، وفي هذا كله حِكَمٌ عرفها من عرفها . وجهلها من جهلها

ما احوجنا مع هذا الاحتياج والتعاون في لوازم الحس الى التحاب والتعاون في لوازم العقل فيا للاسف لم نر انفسنا الا على هذه الحالة متفرقين وما نحن ابتدعنا التفرق بل كان قبل ان كانت اشخاصنا وسيبقى الى من بعدنا

ليس علينا رفع الخلاف ولا نقوى نحن عليه . ولكن علينا ان لا نزيده كما زاده المتعالمون المطاعون في حياتهم والمتَّبعون بعد موتهم . اولئك الذين يكدرون على الناس صفاء فطرتهم، ويفسدون عليهم سلامة تصورهم، بل علينا ان نجتهد في تخفيفه وذلك لا يكون الا بصقل العقول من صدإ الاوهام فقليلنا مجاهدة الاوهام واهلها مبلغ جهدنا . وما اجمل هذه من وظيفة نشكر عليها المحيط المقسِّم المدّ الذي جعل لنا منها نصيباً . وآتانا عليها عوناً .

واحسن جلاء للعقول هو إزالة سيطرة المتعالمين عنها (فهو الصدأ العظيم) واستعمالها في فهم اسرار الكائنات وحكم الشرائع . وافضل عون لها في بلوغها في هذا السبيل هو الدين الخالص من شوب الناس . ذلك لان البشر منذ القديم كدّروا العقل بتصورات سقيمة في شان الموجد الاول فالدين يرشد لا سلَم . وحملوا النفوس على عادات قبيحة ضارّة سمّوها عبادات فالدين يهدي لأجمل ونافع . وحمّلوها اثقالاً من القوانين الجائرة فالدين يوصي بأعدل . وزينوا لها اخلاقاً فاسدة فالدين يدل على اصلح .

لكن الناس اصناف مصنفة اكثرهم يميلون لما هو ضد الخير ونحن نفوسهم الى الرذائل الخارجة عن حد الاعتدال في كل شيء كما هو دأب الذين خلوا من قبل . فمن يتمسك بالدين البتة فلا كلام فيه هنا . ومن تمسك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيه تراهم في مغايرته على نوعين — نوع يغايرونه بالفعل ويتمسكون منه بالاسم وهم الاكثرون ونوع يغايرونه بعلوم يحدثونها يُبَصِّرُون الناس فيها انهم اولياؤه . فأما الذين يغايرونه بالفعل فالوظيفة معهم الوعظ والتذكير . واما الذين يغايرونه بما يحدثونه فالوظيفة معهم وظيفة العاقل مع العاقل في الدعاوي والبيّنات . وتحقّ الحقيقة ويبطل الغلط .

ولما عرفتُ ان الدين كلام يفهمه العاقلون ، ولا يحتمل ما يعزوه اليه المتفرقون ، حرصتُ نفسي على كشف حال كثير من العلوم المحدثة فأقول مالها وما عليها ليعلم طلّابها ما يضرهم وما ينفعهم . ذلك منذ علمت ان سعادتي في ان اكون مُخلِص القلب للمجتمع الانساني ، القائم على ناموس رباني ، وان اكون شاكراً لنعم العاملين بما ينفع الناس ملتئماً مع من عرفوا النعم فشكروها ، او جهلوها فاستعرفوها ، نافراً عمن كفروا بها واستيقنتها انفسهم .

فهذا ما دعاني اليوم لتحرير هذه الكلمات الشارحة رأياً في علم الكلام . وطريقة في إثبات الوحي .

﴿ تمهيد وتقسيم ﴾

هذا الإدراك الذي اوتيه الإنسان لم يقفْ به عند استعراف ما يطْعَمُهُ ويكتسيه ويأوي اليه بل ساحَ به من عالَم الشهادة الى عالم الغيب = من عالَم الحس الى عالم الحدس =

يسأل الانسان نفسه بنفسه ما هو الموجد الأول او ما هو الموجود الأول ، من صنع هذه الكواكب الزاهرة ، من اوجد هذه البحار الزاخرة ، من انشأ هذه الأرواح العاقلة ، من خلَقَ هذه الاسباب الظاهرة والباطنة ، مَن سوّى هذه الروابط الثابتة ، من صوّر هذه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الصور المتغيرة ، من يدبر هذه الكائنات المتنوعة :

ثم ينتقل من هذا السؤال الى سؤال آخر فيقول : ما هي نفسنا ماهو ادراكنا . لماذا افرادنا متفاوتون فيه . ما هي هذه الحياة التي نحياها . ما الفائدة لنا منها . ما الحكمة للذي سوّى فيها . ما الذي يجب ان نعمله معها . اين تذهب ارواحنا عند اضمحلال هذه الحياة . لماذا نحبها وهي مع قِصرها مُرّة المذاق . كدرة الموارد . لماذا نتزاحم . لماذا نتجادل . ما السبيل لسلامتنا بعضنا من بعض ؟

هذه الأسئلة وامثالها شغلت فكر هذا النوع من زمن قديم ليس لنا ولا لغيرنا علمه . وما زال الناس ولا يزالون يتساءلون ويتجاوبون فيه هذا الى ما شاء الله . وليس البحث في هذه شأن كل فرد من الأفراد بل هو شأن نفر من كل امة من هذه الأمم المتفرقة . وقد يعقب البحث والتفكر تصور ويعقب التصور عقد . ويحمل العاقد بشيء غيره ان يعتقد كما اعتقد فهكذا تكوّنت نحل الناس وملَلهم .

والذين اشتغلوا بتدوين العلوم قد تقيدوا باصطلاحات خاصة زعم ان بها يمكنهم تعميم فائدتها . واما الذين عرفوا كيف يقرّب العلم من افهام الطبقات المختلفة فيجبون ان تتجافى عباراتهم عن الاصطلاحات مهما امكنهم .

ذكّرني بذكر هذه القضية أني رأيت مدوني هذه المباحث في لغتنا قد تباعدوا بها عن أفهام الاكثرين بكثرة ما جاؤا فيها من الاصطلاحات وهم ما قصدوا الا التفهيم بل زعم بعضهم أن الناس أجمعين مكلفون أن يعلموا علمهم ذلك . ولا بد من أن يزعم هذا ان اصطلاحاتهم يفهمها كل أحد من أهل اللغات المختلفة . ولعل عذرهم أنهم دونوها كما وجدوها على اصطلاح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباحثين من أمم أخرى . وهو عذر مقبول في الجملة

هذه المباحث يقال لمجموعها في اصطلاح المدونين (فلسفة) وهي كلمة منحوتة من اليونانية قالوا معناها (حُبُّ الحكمه) . ومن أجل شيوع هذه الكلمة بهذا المعنى ظن البعض أن الفلسفة اليونانية هي أول فلسفة ومن أجل أن علم الكلام (الآتي ذكره) يردُّ كثيراً من آراء فلاسفة اليونان كما يرد الفلاسفة بعضهم على بعض ظن أن علم الكلام انما جعل لنقض الفلسفة . والظن الأول يزهقه التدقيق في التاريخ العام للأزمنة القديمة التي يجهل منها أكثر مما يعرف . والظن الثاني يزهقه معرفة أن علم الكلام فلسفة يعرف بها صحة الدين . وليست كل الفلسفة مناقضة للدين حتى يحتاج الدين الى علم به تنقض الفلسفة كما أنه ليس كل كلام أهل الكلام مقبولا عند الدين بل كثير منه مردود بشهادة بعضهم على بعض . والمدقق يعلم أن ليس علم الكلام الا قسمين قسما يجمعون فيه نظريات على طريقة الفلاسفة القدماء يوافقونهم في أشياء ويخالفونهم في أشياء . وقسما يجمعون فيه خلافات ومنازعات بينهم أنفسهم

ويعلم أيضاً أن الدين انتصر بروحه الزكية السالمة من الشوائب قبل أن يجيء علم الكلام ناصراً له وناقضا للفلسفة . ولكي يعلم الناظر ههنا آراء الناس في الإلهيات قبل الاسلام وقبل علم الكلام أذكر نموذجاً يسيراً منها في فصل . ومنه انتقل لعلم الكلام في فصل آخر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الاول

— الفلسفة الالهية عند الأمم السالفة —

كان الصابئة (وهم طائفة منتبها بلاد فارس منها انفصل ابراهيم النبي الذي هاجر الى فلسطين وتسلسلت النبوة في عقبه) يقولون ان للعالم صانعاً فاطراً حكيما مقدساً عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهراً وفعلا وحالة وهم ينكرون نبوة البشر ولكنهم يعترفون بمعلمهم الأول هرمس (قيل هو ادريس) ويثبتون عالماً روحانيا على نحو ما يسميه الكتابيون الملائكة وقسموا هذا العالم الروحاني الى طوائف منها مدبرات الكواكب التي هي هيا كلها اذ لكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى ذلك الهيكل نسبة الروح الى الجسد فهو ربه ومدبره ومديره . وربما يسمون الهياكل أرباباً وربما يسمونها آباء والعناصر أمهات . فوظيفة هذه المدبرات تحريك الكواكب على قدر مخصوص ويحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات فيتبعها قوى جسمانية ويركب عليها نفوس روحانية مثل أنواع النبات والحيوان ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي مع جنس المطر ملك ومع كل قطرة ملك

واتخذ هؤلاء صوراً وتماثيل على صور الكواكب وأمثلتها وبنوا لها البيوت وأقاموا لها الهياكل واحتفلوا من أجلها بفروض ومراسم شرحها مناسب كتب الجدل وكتب التاريخ . وليس غرضنا الا النموذج اليسير

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان « الزروانية » (وهم طائفة من الفرس) يقولون ان النور أبدع اشخاصاً من نور كلها روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الذي أسمه « زروان » شكّ في شيء من الاشياء فحدث « اهرمن » (الشيطان) من ذلك الشك ولهم في ذلك اساطير لم نجوز سردها لقلة فائدتها.

وكان « الزرداشتية » (وهم طائفة فارسية اخرى زعيمهم زرداشت) يقولون ان النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك « يزدان » و« اهرمن » وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور المختلفة والباريء تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ند ولا نديد يدعي اصحاب (زرداشت) معجزات كثيرة له

وكان (طاليس) اليوناني — الذي تعلم الإلهيات والهندسة والهيئة في مصر وهو اعظم مؤلفي الفلسفة المسماة يونانية — يقول ان جميع ما في الكون لا يخلو عن إحساس ما وانه مملوء بما لا يدركه الطرف من المخلوقات وكلها متحركة ذات ارواح

وكان (فيثاغورس) يقول ان العالم له روح وإدراك وان روح هذا الدولاب العظيم هو الاثير فمنه جميع الارواح الجزئية وكان يقول ان الارواح لا تفنى فهي تسيح في الهواء الى ان تصادف جسما فتدخل فيه ولذلك كان يشدد في منع اكل الحيوانات . وادعى فيثاغورس معجزات كثيرة جلها لتأييد مذهبه في تناسخ الارواح ومما فعل انه بنى له تحت الارض حجرة صغيرة وعاهد امه ان تكتب له كل ما يكون ويحدث فغاب فيها سنة ثم خرج نحيفاً أشعث أغبر وجمع الناس واخبرهم انه كان في مدة غيابه لا يزال ان يبعث روحه في شيء ثم يرجعها حاصل في غيبته فظنوا انه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فوق جميع البشر (تأمل)

وكان (هيرقليس) يقول ان الكون ممتلئ من الجن والعقول وان الإله لما قضى أزلاً بوجود الاشياء تركها لتدبير خلقه (تأمل)

وكان « انكسغوراس » يقول بالعقل الذي يفيض على كل مادة ما يليق بها من الصورة وكان يقول لافراغ في الجوّ بل هو مملوء وان جميع الاجسام تقبل القسمة الى مالانهاية له ولو كان الجسم صغيراً جداً بحيث لو وجد قاسم ماهر وآلة تقسيم لأمكن ان يستخرج من رجل البعوضة اجزاء لو وضعت على الف الف سماء لسترتها من غير تناهيها في نفسها بل لا تزال قابلة للقسمة (تأمل)

وكان « افلاطون » يقول الأصول ثلاثة الإله والمادة والإدراك فالإله يشبه عقل العقول والمادة تشبه السبب الأول للتولد والفساد . والإدراك جوهر روحاني قائم بذات الإله . كان الناس يلقبون افلاطون بالالهي وكانوا يقولون إن أفلاطون يعرف الإله الحقيقي معرفة جيدة وهذا إمّا من جودة ذهنه او مما أطلع عليه من كتب العبرانيين (تأمل) ووقع من افلاطون أنه نوّع الالهة مراتب ثلاثاً علويين مسكنهم السماء ومتوسطين يسمون جنّاً كوزراء للعلويين مسكنهم الهواء وسفليين مسكنهم الماء سماهم انصاف آلهة (تأمل) وقال إن جميع عناصر العالم وسائر اجزائه ممتلئة بهذا النوع الثالث وقد يظهرون في بعض الاحيان لأبصارنا ويختفون احياناً . تبع أفلاطون فيثاغورس في تناسخ الأرواح

وكان « ارسطاطاليس » يقول: الأصول ثلاثة العدم والمادة والصورة وعرّف المادة بتعريفين مختلفين سلباً وايجاباً فقال في الاول : المادة هي ما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليست جوهر ذلك الشيء ولا امتداده ولا عرضه ولا نوعاً آخر من الامور الوجودية العارضة له : وقال في الثاني: المادة هي مبدأ تركيب الاشياء ومنتهى تغيراتها: وليس في الاثنين ما يفيد حقيقتها (تأمل)

وكان « ابيقور » يقول بأن الروح جسمانية معللا ذلك بأنها محركة لاجسامنا مشاركة لها المَّا ولذة واننا في حالة ثقل النوم نتيقظ بها بغتة وبها تتغير الواننا على حسب ما يعرض لها من الحركات والاعراض

هؤلاء من مشاهير اليونان الذين تكلموا في الإلهيات وهذه مشهورات من آرائهم فيها (وأما علومهم الرياضية والمنطقية فليست من صدد موضوعنا ولا تنقضها الالهيات والعلوم الخادمة لها ولا تأمر بنقضها بل بإبرامها لانها لازمة نافعة واما علومهم الطبيعية فلا ننكرها عليهم أيضاً الا ما انكروا فيها الصانع وصنعه)

وكان « اليهود » يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويقولون إن عيسى بن مريم الذي خلق من غير اب زنت به امه واتى من الزنا وخالف بعمله النواميس الشرعية فقتلناه وصلبناه

وكان النصاري يقولون لا بل عيسى هو ابن الله بعثه ليخلص الناس من خطيئة آدم التي لحقت بأولاده وجعله فداءً لهم من الخطيئة التي لم يسكن غضب الرب من اجلها ثم اختار أن يكون سكون غضبه وتخليص الناس منه بواسطة اراقة دم ابنه ولا تنس أن النصارى يقولون أيضاً بأصول ثلاثة الاب والابن وروح القدس

وكان العرب أصنافاً منهم من انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني كما حكى ذلك القرآن عنهم « وقالوا ما هي الا حياتنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدنيا نموت ونحيي . وما يهلكنا الا الدهر » اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة على تركبها وتحللها . فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر

ومنهم صنف أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عندالله في الآخرة وهم الدهماء من العرب الا شراذم منهم

ومن العرب من كان يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان أوقتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة

ومنهم من كان على ملة ابراهيم كزيد بن عمرو بن نفيل . ومنهم من تهود . ومنهم من تنصر ومنهم من تفلسف وأدرك بعقله الحشر والجزاء قال « قس بن ساعدة » وهو أحد حكماء العرب: كلا ورب الكعبة ليعودن ما باد . وقال أيضاً : كلا بل هو الله اله واحد . ليس بمولود ولا والد . أعاد وأبدى ، واليه المآب غداً ، : وقال « عامر بن الظرب العدوي » وهو من حكماء العرب أيضاً اني ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ، ولا جائياً الا ذاهباً ، ولو كان يميت الناس الداء ، لاحياهم الدواء ، ثم قال : إني أرى أموراً شتى وحتى : قيل له ، ماذا ؟ قال : برجع الميت حياء ، ويعود اللاشيء شيئاً ، ولذلك خلقت السموات والأرض : وقال علاّف بن شهاب التميمي

وعلمتُ أن الله جازعبده يوم الحساب بأحسن الأديان

— ظهور محمد عليه السلام —

فبينما حال الناس عامة والعرب خاصة على ما قصصناه ظهر « محمد » من العرب بين أظهرهم بهدى عظيم ، ودعا الى صراط مستقيم ، صدّقه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بدعوته الواحد والاثنان، وكذّبه الشعب الكبير المتشعب الى جماجم وبطون وأفخاذ، صدقه من صدقه لنور قذف في قلبه، رأى به وجهه وجه صادق، وخطته خطة مرشد، ودعوته دعوة مويّد من عالم الغيب، وكذّبه من كذّبه لشبهة عنّت له، وحجاب أسدل على بصيرته، ثم صدّقه آخراً من كذّبه أوّلا، ولم يفارق هذه الدار وفي جزيرة العرب جماعة مكذبون

كيف آمن جمهور العرب به من بعد أن أورد متعاقلوهم كل شبهة عنت لهم، من بعد أن قالوا ساحرٌ كذّاب، من بعد أن قالوا شاعر مجنون؟ هل آمنوا رهبة من سيفه؟ فكيف أرهب سيف هذا الواحد قلوب تلك القبائل الكثيرة؟ هل آمنوا رغبة في المغانم؟ فكيف سرى هذا الخاطر الواحد في أفكار الكل بعد ان صدوا أعظم الصدود وحارب بعضهم بعضاً من أجل أن ينصره قوم ويكيده قوم؟

انما آمن العرب بعد حين من دعوته تربصوا فيه ان تظهر لهم أعلام صدقه فظهرت (كما سيظهر لك) ويومئذ دخلوا في دينه أفواجاً، ووفدوا على حضرته زمراً، يبايعونه على التصديق والاتباع، ويستعلمون منه الوظائف والواجبات، ويرجعون عنه بأفئدة مسرورة، وعزائم مشتدة،

أما العقيدة التي كان هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوصي بها فهي أن يشهد الرجل أن «لا اله الا الله» وأن «محمداً رسول الله». كلمة «الله» عند العرب علَم على الخالق كانوا يقولون به ولكنهم لا يعرفون كماله كما يجب فكان منهم من يظن أن الملائكة بناته وان الأصنام شركاؤه في بعض ملكه فعرّفهم أن الله لا يشبه المخلوقات فلا يلد ولا يولد وليس له شريك في الملك ولا اله غيره ولا معبود سواه ولا ينبغي أن يرجى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويخاف من غيره . فكل هذه المعاني مجموعة في كلمة « لا اله إلا الله »
وأما الكلمة الثانية فالمقصود منها التسليم بما جاء به في الكتاب والخضوع لما يحكم به ويمضيه واعتقاد أن هذا الكتاب كلام الله أوحاه اليه بواسطة ملك من الملائكة الذين هم خلق مدركون لا يعصون الله تعالى ويندرج في هذه العقيدة الايمان باليوم الاخر

هذه هي العقيدة التي يصير بها المصدِّق محمدياً وقد ورد تفصيلها في القرآن كصفات الله تعالى والاحتجاج على المكذبين والوعد والوعيد في الدار الاخرة ويعلم القارئ أن العرب المدعوين لما آمنوا ما كانوا يعلمون القرآن كله لأنه لم يكن قد تم نزولا . بل أكثرهم ما كانوا يعلمون غير الآيات القليلة وكان أعلمهم به (أي الذين يعلمون كثيراً من الآيات) لا يجد في الألفاظ شيئاً غريباً في مدلوله ليتساءلوا عنه ويتباحثوا فيه (الا ماروي نادراً) بل كان هذا التباحث من قسمة الذين أتوا بعيدهم

أتى بعيد عصره أناس قرأوا القرآن فعلموا شيئاً وجهلوا شيئا . وأناس استمعوا لآراء الناس في الإلهيات من نحو ما قصصناه عليكم وانقسموا فيه فرقتين محبة وكارهة . ثم انقسمت المحبة فرقتين مصوبة ومخطئة . ثم انقسمت المصوبة طائفتين مؤولة للدين على مقتضاها وتاركة له على حاله . ثم انقسمت المؤولة زمرتين معتدلة وغالية . فهذا هو مبدأ نشأة الفلسفة في الإلهيات عند المسلمين وعلى هذا الشكل كان تفرق أهل هذه الفلسفة

الفصل الثاني

— الفلسفة الإلهية عند المسلمين — أو — علم الكلام —

لا يصح أن نقول ان العصر الأول للاسلام كان خالياً من بذور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البدع التي حدثت بعده في الأصول والفروع . نحن لانقول هذا القول لأن أقوال المعاصرين للرسول كثير منها محكي في القرآن ونرى في بعضها مايدل على أنه كمذهب الجبرية وفي بعضها ما يدل على أنه كمذهب القدرية وغير ذلك . ولكننا نقول لم تنبت تلك البذور الا في اواخر أيام الصحابة حين أظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري القول بإنكار اضافة الخير والشر الى الخالق سبحانه . ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان هذا تلميذاً للحسن البصري . ويحكى أنه دخل واحد على الحسن فقال يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج بهاصاحبها عن الملة . وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلين لا مؤمن ولا كافر . ثم قام واعتزل الى اسطوانة في المسجد وأخذ يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمي هو واصحابه « معتزلة »

وقال « واصل » هذا بقول معبد وغيلان في مسألة افعال العباد وانكر مثلهما قضاء الله تعالى وقدره . فسموا « قدرية » (سماهم بهذا خصومهم) ان قال ان الباري تعالى حكيم عادل لايجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمرهم به . وأن يحكم عليهم حكماً ثم يجازيهم عليه .

وقال « واصل » واصحابه يستحيل وجود إلهين قديمين ازليين ولذلك نفوا صفة العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر . والكلام عن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الباري اي لم يقولوا هذه صفات الباري قديمة ازلية بل ان الله عالم حي قادر وليس علمه ولا حياته ولا قدرته الا ذاته .

هذا رأس الطائفة « المعتزلة » وطالع بعده الشيوخ الذين اتبعوه كتب الفلاسفة فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فنا من فنون العلم وسمتها باسم « الكلام » إما لان اظهر مسئلة تكلموا فيها هي مسئلة الكلام فسمي الفنُّ باسمها واما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان . (كذا قيل)

وتفنن « المعتزلة » في هذه المباحث وزاد الآخر على الاول وترونق كلامهم في أيام المأمون والواثق والمعتصم :

أما مسألة الكلام المشار اليها فهي القول بأن القرآن مخلوق وممن اشتهر بهذا القول جهم بن صفوان وكان هذا جبرياً اي يقول أن العبد مجبور في أفعاله . وهذا المذهب ضد مذهب المعتزلة الذي معناه ان العبد حر في افعاله أي ليس مسلوب الاختيار بإرادة الله وحكمه .

وكان بين « المعتزلة » العلماء العقليين وبين أهل الرواية في كل زمان اختلافاتٌ ومنازعات في مسألة الصفات وكان العلماء النقليون يناظرون الآخرين لا على قانون منطقي بل على طريقة المفتين في الدين . وكان من احسنهم اتقاناً ابو العباس القلانسي والحارث المحاسبي . وجرت مناظرة بين ابي الحسن الأشعري وبين استاذه ابي على الجبائي في بعض مسائل والزمه اموراً لم يتخلص عنها بجواب فأعرض عنه وانحاز الى النقليين السالكين طريقة السلف ونصر مذهبهم على قواعد منطقية واساسات نظرية فصار ذلك مذهباً منفرداً وهو المشهور اليوم بأنه مذهب اهل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السنة والجماعة . ويظن البعض بأنه بقي في مذهبه بقايا من مقالات اساتذته قبل ان تركهم وهم من شيوخ الاعتزال . وقرر طريقته جماعة من الاذكياء كالقاضي ابي بكر الباقلاني والاستاذ ابي اسحاق الاسفرائيني والاستاذ ابي بكر بن فورك على اختلاف بينهم قليل .

ومن يطالع مقالات المعتزلة بامعان يتبين له ان مقاصدهم التوفيق بين الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لامرين الاول ان الفلسفة التي طالعوها اكثرها غير صحيحة فلذلك لم تلتئم مع الدين . الثاني ان المقصد الاصلي من الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا في الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما شط مجادلوهم من الجبرية الخالصة والجبرية المتوسطة والمرجئة .

لكن القوم بما صنعوه في احتجاجاتهم وبما اضطروا مناظريهم ان يقلدوهم في النظر والاستدلال قد رفعوا شأن العقل كما يجب له ووسعوا ميدان نظره وقرروا آداباً مهمة وقوانين محكمة في المناظرة من حيث هي وفي المناظرة في موضوعهم هذا بخصوصه . من اهم تلك الآداب معرفة كل منهم ان مناظرهم نظيرهم . وعدم تكفير بعضهم بعضاً لمجرد المباينة بالفهم . ولا يلفتنك عن تسليم هذا شذوذ البعض عن هذا الادب المرعي المعتمد على اصل شرعي ، ومن اهم تلك القوانين تقريرهم جميعاً ان الدليل العقلي القطعي يقدم على الدليل النقلي عند التعارض ويستعان له بالمجاز والتأويل لئلا يذهب سدى كذا قال بعض الاذكياء . واقول ياليتنا استفدنا هذه الفائدة التي اشار اليها من غير باب الجدل في الدين . والتجربة تريناان هذه الفائدة لم تتم الا في أعقل المباحثين واكملهم قصداً واوفرهم حكمة وليس هؤلاء بكثيرين حتى نقول ان مخالفهم قد شذ . نعم ليس بمنكور

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عندي ان صنيعهم ذلك رفع شان العقل وكاد ان يبلغه اشده في هذا الباب ويسير به الى ابواب اخرى من استعراف اسرار الكائنات وحكم الشرائع عامة والشريعة المحمدية خاصة ويومئذ كان يرجى للدين دوام سيره وانتشاره على السيرة الاولى ولكن هو الخطأ في الدين يقف به ويمنع سيره ان كان قوياً ويزهقه ان كان ضعيفاً .

نرجو أن تكون قد عرفت مما تقدم ان مدار الفلسفة الالهية الاسلامية على آراء «المعتزلة» ومناظريهم . أمّا مناظروهم فالمتكلمون من أهل السنة (وأشهرهم الأشاعرة) والقليون من أهل السنة والغلاة من الفريقين كالجبرية والحشوية والمشبهة والمرجئة . والغلو في كل شيء مذموم .

وقد أجلنا هذه الفلسفة عن أن نعد في أهلها أولئك الذين يتشيعون لرجل بعينه أو يتعصبون عليه وان عدهم الناس الباحثون في فرق المحمديين . اذ الشرط أن نحكي ماله علاقة بالفلسفة دون مالا علاقة له إلاّ بالهوى والسياسة .

وهذه أول كلمة نوجهها لعلم الكلام وعلمائه متأسفين على اشتغال أفاضل أهل هذه الصناعة من المعتزلة ومناظريهم في هذه المسئلة التي أومأنا اليها . ولئن كان للمتقدمين منهم عذر لأن الزمان زمانها فليس للمتوسطين فضلاً عن المتأخرين وجه من الوجوه المزينة أو سبب من الاسباب الحاملة اللهم الاهوى البعض وتقليد البعض ولا يؤلم قلبي الا المتبعون على عمهِ الذين نزلوا أنفسهم منزلة القاصرين .

والكلمة الثانية أوجهها لجمهورهم أيضاً على ندم تروي كل منهم في كلام الآخر . لأننا حين التأمل والتروي نجد اختلافهم انما هو على الاصطلاحات دائر . وقلما نجد بينهم اختلافاً عظيماً في حقيقةٍ من الحقائق بل اختلافاتهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مع الفلاسفة يمكن القول فيها هكذا أيضا. ولتوضيح هذا نورد ههنا أمثلة:

(١) هل بين العقول السليمة اختلاف في أن الموجودات ترجع الى مبدإ. هل بينها اختلاف في أن مبدأها يجب أن لا يكون قبله شيء. هل بينها اختلاف في أن النفوس مستشرفة دائماً أن تعرف ماهو ذلك المبدأ؟

(٢) ماهو ذلك الشيء؟ ههنا الاختلاف اذا لم يتروّ الناس مع بعضهم واذ تروّوا فلا خلاف. نحلل هذا السؤال الى أربعة: (١) ماهي ذاته (٢) ماهي صفاته (٣) ماهي أفعاله (٤) ما هو اسمه؟ اما السؤال الأول فجواب كل عاقل فيه لا نعلمها. لا يخالف في ذلك عقلاً ملّيٌّ ولا فيلسوف على اختلاف فِرَق الملليين والفلاسفة اللّهم إلّا من لا يتدبرون. واما الثاني فالجواب فيه لا يحدُّ لأنه لم يحسّ، ولا يوصف لأنه لم يعرف، لا يخالف في هذا أيضاً أحد. ومن يصفونه من الملليين لا يصفونه بعقلهم بل يتبعون فيه الوحي ويفوضون الأمر في علمه. ومن يصفونه من الفلاسفة فأنما يصفونه بما هو مقتضى وجوده كقولهم: واجب الوجود: بل جعلوا ذلك علماً عليه. وأنت خبير أن هذا ليس وصفاً. وأما الثالث فالجواب فيه ان فعله البدء والتصوير. وهذا لا يخالف فيه أحد أيضاً اللهم الا الجاهلون جهلاً مركباً. ولا يعد خلافهم خلافاً ولا يجدر بعاقل أن يتصدى للردّ على من يقول وُجدت الاشياء بنفسها. وقامتْ منتسقة لحالها.

جهلنا فلم نعلم حقيقة نفسنا وقلنا بأن الكون قام بنفسه!!!

واما الرابع فالجواب فيه بالاتفاق ان هذا يختلف باختلاف اللغات ولا يعرض هذا الاختلاف للتصور تبعاً للاختلاف في اللفظ كما لا تختلف النفوس في معرفة الأبيض لكون الدالّ عليه مختلفاً. ولا أرى العقلاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاختلاف على ان اختلاف الاصطلاح كاختلاف اللغة فلا يجب تجافي الملي عن اصطلاح الفيلسوف ولا تجافي هذا عن اصطلاح ذاك . هذه الكلمة تغنيك عن اكثر ما في علم الكلام الذي ولع أهله بتشعيب الاختلافات التي منشأها اللفظ لا التصور كما سترى في الامثلة الآتية وأنت قسْ عليها .

(٢) كيف بدأ ذلك الشيء غيره ؟ أيُّ عاقل يتجاسر على ادّعاء معرفة هذا من طريق العقل على وجه اليقين . هل ثمة من يتجاسر على هذه الدعوى . وهل من يتجاسر عليها عاقل ؟ مع صعوبة هذه المسألة لا تجد الناس سكتوا في جوابها . أمّا الملّيون فحلّها لهم الوحي فقالوا أراد ان يُوجِدَ فأوجد . وقال ناس من الفلاسفة نشأ عنه غيره وجوباً (أو عبارة هذا ما آلها) وللفريقين كلام كثير . ولئن سألتَ الملّيّ هل تعرف ارادته ؟ وهل يمكنك أن تشبهها بأرادتك التي تعرفها ؟ ليكونن جوابه لا ، ولئن سألت الفيلسوف ما الذي أوجب أن ينشأ عنه غيره وهل تعرفه ؟ ليقولنّ لا اعلم أو يخترع اسماً يجوز ان يكون بمعنى الإرادة التي يقول بها الملّيّ ، فكلاهما بالعجز عن الإدراك مشتركان ، وعلى وجود غيره بتأثيره (المجهول عندهما) متفقان ، على أن المتكلمين صرّحوا بان الإرادة القديمة (تلك التي لا يعرفونها) توجب المراد ،

(٣) متى اوجد ذلك الشيء غيره ؟ لم يجب عن هذه المسألة المتفلسفون ولا اللاهوتيون المحدثون . ولكن قال اللاهوتيون (المتكلمون) ان ذلك الموجد قديم وفسروه بأنه غير مسبوق بعدم وان الموجودات حادثة أي مسبوقة بعدم ، وقال المتفلسفون هو قديم وهي قديمة ، وللفريقين كلام كثير ، وهذه المسئلة لا خلاف فيها أيضاً ؛ لأنهم متفقون على أنه أوجدها وعلى انهم يجهلون متى أوجدها ، وما كان للملّيّ أن يتقوّل ما ليس له به علم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من العقل، ولم يسمع فيه كلاماً من الوحي، فليس في الدين ما يحمله على الخوض في هذه المزال، وما كان للفيلسوف أن يجزم بشيء لم يقم عليه دليل يقيني، فهما متفقان على العجز هنا إن تقاربا الحق، كما اتفقا على العجز عن معرفة كيف أوجدها،

هذا والمليون (نقليوهم وعقليوهم) قد يسألون عن أشياء لا يسأل عنها الفيلسوف الذي لم يتبع ملة. يسأل هؤلاء عن نصوص لا يستطيعون إبقاءها على ظاهرها كالنصوص القائلة ان السموات والارض خلقت في ستة أيام. يقال لهم هل هي أيام مثل التي تعرفونها أم أيام اخرى لا تعرفونها؟ ان قلتم بالاول فالايام هذه انما عرفت بعد خلق السموات والارض. وان كان للنصوص مقدار مدتها دل ذلك على ان هناك مدة وزماناً. وان قلتم بالثاني (وهو الذي نقوله) فقولوا نعرف انه خلقها ولكن لا نعرف كيف خلقها. وفي خلقها. ونم خلقها. ونؤمن بقول الله تعالى «ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرها قالتا اتينا طائعين.»

---

٤) فاوجد ذلك الشيء غيره؟ وهذه محارة ايضاً للعقل وينبغي أن يجتمعا هنا ايضاً على العجز عن المعرفة. على أن الذي تقول الحكمة خشية الله يصح ان يقول الفيلسوف مثله «وما اوتيتم من العلم الا قليلا»

---

٥) ما هي صفات ذلك الشيء؟ قلنا عقب الجواب مختصراً ولكن هذه المسألة جديرة بزيادة البيان لأن الخلاف العظيم فيها بين المليين انفسهم. بين النقليين منهم والعقليين اولا. وبين المعتزلة من العقليين والاشاعرة ثانياً. واحب أن أسمي الخلاف الحقيقي هنا كما نبهته بينهم وبين الفلاسفة في الأمثلة المارة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال النقليون ومتبعوهم من المتكلمين ان الله قديم وعلمه قديم وحياته قديمة وسمعه قديم وبصره قديم وكلامه قديم وارادته قديمة وقدرته قديمة وفعله قديم . وقال المعتزلة هذا يوجب تعدد القدماء فالله ذات مستجمعة لصفات فهو عالم مريد قادر حي سميع بصير متكلم . وهو قديم . وصفاته عينه . وقال الأشاعرة هي امور زائدة على ذاته لاهي عينه ولا هي غيره . ولكل كلمات سموها ادلة معروفة في محلها . ونحن نقول اذا تروّوا فلا خلاف . وتوضيحه ان الكل قائلون هو حي عالم مريد قادر سميع بصير متكلم والكل قائلون ان معنى الحي ذو حياة والعالم ذو علم الى آخره . والكل قائلون هو واحد لا متعدد . فاذا لم يبق الا ان هذه الصفات زائدة او غير زائدة؛ بقي الخلاف لفظياً عند المدققين ولا يلزم من القول بها تعدد القدماء كما توهم البعض . ولا من عدم القول بها نفيها كما توهم البعض وليس للحس هنا مبلغ من العلم ، ولا للعقل سند في الحكم ، ولا في الدين قول يحمل على الجزم

اما الخلاف بين النقليين والعقليين فهو في فهم بعض الاشياء التي وصف بها الباري وبعض الأعضاء التي نسبت اليه وهو في الظاهر خلاف مهم جداً . وقد ظهرت آثاره من القول الى الفعل وخلاصته أن كل طائفة من هذين الفريقين تنقسم طائفتين معتدلة وغالية فنحن لا ننكر وجود الخلاف حقيقة بين الغاليتين منهما ولكن الخلاف بين المعتدلتين نرجعه لا الى شيء . توضيحه ان المعتدلين من النقليين قالوا : ورد الوحي بصفات للباري فنحن نقف مع عبارة الوحي وقفة التأدب الحكيم ونصفه بما وصف به لا نفي معانيها ولا نعتقد أنها كالمعاني المخصوصة بالمحدثات وهذه هي طريقة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الصحابة ومن تابعهم عليها (قلت وليس على هذه من غبار) ثم المعتزلون من العقليين قالوا: إننا قد علمنا انه ليس كمثله شيء فعلمنا من هذا العلم ان الكلمات الموهمة تشبيهاً لا يصح اعتقاد معانيها كما يعتقد في المعاني المخصوصة بالمحدثات فاستفدنا لها معاني قريبة راعينا فيها قرائن اللغة وقرائن كلام الوحي (قلت وهذه ايضاً ليس عليها من غبار) ولقد لاح من هذا ان لا خلاف بين الفريقين . غاية الامر أن اولئك احجموا عن ادعاء التفسير وهؤلاء اقدموا ولم يأتوا في تفسيرهم منكراً من القول ولا تباعدوا عن القرائن ولا تعدّوا حدود ما ورد من الكلمات . فهذا لا يعد خلافاً .

اما الغالية من النقليين فاعتقدت الكلمات على ظاهرها وربما تعدتها الى غيرها . وأما الغاليه من العقليين فلم تعتقد شيئاً على ظاهره فلاهم منكرون للنصوص ولاهم واقفون معها قط . وهم مختلفون ايضاً . فالبون انما هو بين هذين الفريقين . وقد اشتبه على الناس الذين لم يعرفوا هذا التقسيم فاعتقدوا بالسلف ومعتدلي الخلف ما لا يجوز اعتقاده . هذا هو تحقيق الامر في هذه المسألة ونحن من الغاليتين براء . ومع المعتدلتين سواء .

---

(٦) ما هي افعال ذلك الشيء ؟ مر الجواب عن هذا آنفاً مختصراً و الكلام هنالك مع الفلاسفة من غير الملليين وأعدناه ههنا لخلاف في الظاهر بين الملليين الفلاسفة ومناظريهم . قال النقليون ومتابعوهم من المتكلمين ان الله تعالى يفعل كل شيء يقع في هذه الدنيا . وقال العقليون إن الله تعالى خلق خواصّ واسباباً واسند اليها الفعل . قلت هذا اصل لمسئلة مهمة . وهي ان الانسان من جملة الأشياء وفعله من جملة الاشياء فعلى رأي الاولين ان الله يفعل الانسان وفعله . وعلى رأي الآخرين ان الانسان يفعله الخاصة التي

www.alukah.net إحدى شبكة الألوكة

خلقها الله . وفعله يفعله هو بالخاصة التي آتاه الله اياها . واقول هل ثمة من لا يعجب من عدم تروّي الفريقين في هذه المسألة التي كل كلام فيها يرجع الى نقطة واحدة . ألم يأن للذين آمنوا ان يعلموا ان الله خلق الانسان عاقلا متصرفا في هذه الدار بنيره من جماد ونبات وحيوان . ومحاسباً على عقله وتصرفه . ومهاناً او مكرماً بعمله فليقولوا كيفما شاءوا ان يقولوا . افهام بمؤمنين بأن الانسان محاسب على عمله ومجزي عليه ؟ أراد المعتزلة ان ينفوا الشرور والقبائح عن الباري فقالوا الأنسان هو يفعل فعله . واراد اهل السنة ان لا يثبتوا في الوجود معه فاعلا فقالوا الله هو الذي يفعل كل شيء . إطو المراتب في أعين الاولين ، وابسطها في أعين الآخرين . تجدهم متفقين كاتفاقهم على أن المرء مأخوذ بعمله وهي المرتبة الاخيرة .

وفي هذه المسئلة تولد من البحث غلاة من الفريقين غالية قالوا بالجبر المحض وأفرطوا في تقريره ابتغاء التوصل لفصل الكون عن المكون في كل الشؤن . ويومئذ لا يتقى ولا يرجى ولا يدعى وفي هذا مصادمة لنصوص الدين واسراره . على ما فيه من الرجم بالغيب واتباع الظن المحض الذي لا يليق بالعقلاء لانه يضرهم ولا ينفعهم

في هذه الامثلة الستة قد اوضحنا تصديهم للمجادلة فيما لا خلاف فيه وفيما التبس عليهم من الامر ولا اريد أن اتكلم على اختلافهم في خلود اصحاب الكبائر وعدم خلودهم . بل ولا في اختلافهم في خلود الكفار وعدم خلودهم . واكتفي في هذا الفصل بكلمة خرجت من بيت النبوة قالها احد ائمة اهل البيت وهي : ان الله اراد منا اموراً . واراد بنا اشياء .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نحجب عنا ما اراده بنا . ويبين لنا ما اراده منا . فالاجدر بنا أن نشتغل ونتعاون فيما اراده منا . ولا نتجادل ونتخاذل فيما حجبه عنا مما أراده بنا . »

هذا والكلمة الثالثة من اللاتي أردنا ان نقولهن اوجهها لناس من أهل عصري لا يزالون يحرصون على دراسة الكتب المدونة في علم الكلام ويجتهدون فى خلها وتفسيرها . ولا يسمحون لأنفسهم ان ينظروا في غيرها من كتب الفلسفة العصرية . ولا ان يتعدوا حدود ما كتب لهم الاولون من اصطلاحات وتعريفات . وما قرروا لهم وكتبوا عليهم من مذهب واعتقاد . أقول لهؤلاء : (١) ان تلك الكتب كتبت على أسلوب الفلسفة القديمة . والآن قد تغيرت الرسوم ، ودرست الرقوم ، وحدثت بعد تلك العلوم علوم ، فاقرأوا ما تيسر فما وجدتموه موافقاً للدين وهو الاكثر فاحمدوا الله على هذا التوافق ، وما وجدتموه مبايناً فاسعوا في معرفة أسباب التباين . (٢) علم الكلام فائدته على ما قالوا الترقي من حضيض التقليد الى ذروة الإيقان وأنتم في هذه الكتب تلتزمون مذهب رجل معين وتحفظون حدوداً وتعاريف ما أنزل الله بها من سلطان . ولا شهد لجملتها العقل بتبيان . فالذي تزعمون الخلاص منه هو الذي أنتم فيه . (٣) ان الشبه التي تقرأونها في كتبكم هذه قد تسمعون خلافها فينبغي ان تكونوا مستعدين للاحتجاج على كل شبهة كما هو مطلوب كم من هذه الكتب وهي لا تفي بمطلوبكم هذا

والكلمة الرابعة أوجهها لناس آخرين من أهل عصري دأبهم الاستهداء بالذين ماتوا . أقول لهؤلاء (١) ان الذين ماتوا لم تختبروهم ولم تعلموا السبب في كثير من مقالاتهم (٢) ان الناس قد يحدثون مقالات بحسب زمانهم ومكانهم وغرض [illegible] اه حاكمهم (٣) ان الحق [illegible]

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

محسوس . وحاله محدود . يقتدر المرء ان يعرف الحكمة في مقالاته والناس منهم مخلصون لاحكمة فى مقالهم ولا سر ولا غرض الا قول الحق وبذل النصح ومنهم ضد ذلك (٤) ان أخذ الادلة عن الاحياء المخلصين والاستهداء بهم في دفع الشبه أولى من الاستهداء بالذين لانعلم من أمرهم شيئاً . واعنى بهذا ان يعالج المصريون أنفسهم من بعض الجمود

والكلمة الخامسة أوجهها لناس آخرين من أهل عصري قد قرأوا شيئا من الفلسفة وما قرأوا شيئا من الدين فإمامهم حيارى في الامر وإمامهم مارقون من الملة . أقول لهؤلاء ان طريقة الدين حنيفة سمحة . أركان اعتقاده معرفة ان لهذه الموجودات موجداً هو « الله » . وانه لايشبه شيئا من الموجودات . وانه متصرف فيها مدبر لها . وان الانسان الذي ميزه في عوالم الارض بالعقل مسئول عنده عن عقله وعما عمل بعقله . وان محمداً (صلى الله عليه وسلم) النبى العربى أرسله ليتمم مكارم الاخلاق . ويرشد الناس على الاطلاق . وأركان عباداته ذكر الله تعالى بصلوات خمس في اليوم لتخف الغفلة المهلكة . وصوم شهر في السنة لتغلب النهمة المتعبة، وحج في العمر الى حيث يتلاقى الاخوان في البيت الحرام والمشاعر المعلومة لتأكد الوحدة الملية وتزداد الالفة . وإيتاء الزكاة في الحول للفقراء والضعفاء لتجبر الحاجة المضطرة . وبناء أحكامه على العدل في الحقوق ، وبناء آدابه على الاحسان للمخلوق ،

هذه جملة الدين ولا واحد لاتند فروعه عن قيود هذه الجملة فيجدر بكم أيها الاذكياء ان تعرفوا بالدين وأسراره لتجمعوا بين فائدة الفلسفة التي تنور عقولكم ،وبين فائدة الدين التي تزكي نفوسكم . وان سألتموني ماالدليل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على صحة الوحي الذي هو أساس الأديان. وما الدليل على صحة دعوى النبي العربي (صلى الله عليه وسلم) فأقول اني لست بأعلم منكم فتفكروا يظهر لكم هذا الامر العظيم على اني لا أضن عليكم بمبلغي مما عرفت

طريقة في اثبات الوحي

اني تفكرت أولا (والانسان خلق متفكراً) في: ماهو العقل الانساني الذي ميزه على الحيوانات المدركة بحواسها فقط بل ماهو الادراك؟ فلم أستطع علم هذا. سألت أعالم الناس الذين اجتمعت بهم من عرب وترك وفرس وهنود وافرنج فلم اهتد لعلم هذا

رجعت الى آثار الموتى قلبت في الكتب أوراقاً تعد بالآلاف فلم اقف المطلوب. فسكنت اعياء عن طلبه سكوناً حالياً. واكتفيت بمعرفة انه قوة عظيمة قد رفعت الانسان الى طبقات الكواكب وهو لم يتحرك لجهتها فأرته بغير عينه بدائع صنعها، واتقان نظامها، وصورة دورانها، وشكل تقابلها بعضها مع بعض. وهبطت به الى طبقات هذا الكوكب الذي هو فيه (الارض) فأرته بعينه وبغير عينه بدائع كونها، وخزائن أسرارها، وانتظام سيرتها، وبصرته انه (أي الانسان) هو سلطان عوالمها، تنقاد كلها لتصرفه، وتصير تحت أمره، فهو المنفرد في الارض بحياة جامعة للعلم (بالشاهد والغائب) والقدرة (على التصوير والتشكيل) والارادة (لما يلزم البدن وما يلزم العقل). الكلام (الذي يبلغ به ارادته للحاضر معه بواسطة الآلة البدنية الطبيعية، وللغائب عنه بواسطة الآلات الجمادية الصناعية، منها هذه الكتابة التي تبلغنا كلام من قبلنا من أهل الادوار، وتبلغ كلامنا للتالي [illegible] والآتي بعدنا في الاجيال [illegible]

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا التلغراف الذي يسمع به المشرقي مايريد المغربي في لحظة من الزمان) والسمع (الذى نفهم به إرادة غيرنا .) والبصر (الذي يطبع فى فكره صور الاشياء) فبمجموع مزايا هذه الحياة كان له السلطة والتصرف في عوالم هذه الارض تصرفاً تابعاً لنواميس هي فوق ارادته . وفوق سمعه وبصره. وفوق علمه وقدرته . وفوق أمره ونهيه

هذا القدر عرفت بادئ بدء من آثار تلك القوة العظيمة التى هي العقل وبهذا القدر تم لى معرفة ان هذه القوة هي أكمل وأعظم قوة فى العوالم الارضية . وان تلك النواميس التى هي فوقها وحاكمة عليها يجب ان تكون من عالم آخر

ما هو ذلك العالم ؟ هذه نقطة ثانية سرح اليها فكري وفى هذه الدرجة وقف عقلي زماناً كثيراً يلتمس الدليل في معراجه هذا ثم اتاه الدليل من نفسه . فقال ان ذلك العالم هو العالم المحجوب عن حسنا المعروف المألوف عند تصورنا . هو عالم الحقائق والقوى والطبائع التي نعرفها بآثارها ونجهل كنهها وذواتها . هو عالم الغيب وهو بحر عظيم لاساحل له والذي ظهر لنا منه نقط قليلة بعد ظهور امثلتها في عالم الشهادة . قال بعض الاذكياء « كنا لا ندرك السر في قيام هذه الكرة في الفضاء ثم علمنا من امثلة ظهرت للحس ان هنالك قوة تمسكها ، لا نرى تلك القوة بأبصارنا ، ولا نسمعها بآذاننا ، ولا نحسها بأيدينا ، ولا نشمها بانوفنا ، ولا نذوقها بفمنا ، ولم تبلغها عقول الاكثرين من المتقدمين والمتأخرين ، واليوم درکها بعض اقطاب العلم البحثين فى [illegible] وقرب ادراكها لعقول فصرنا نقول بها . ونلمح بالاسم الذي وضع لها (الجاذبية) وكذلك كنا لا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ندرك السرفي حركتها ثم ظهر . وكنا لانعلم كيف تكونت ومتى تحركت ويدعى البعض اليوم انهم يعملون ذلك . وكذلك كنا لا ندرك طبائع الأجسام البسيطة والناس اليوم انما يعرفونها بآثارها وبخواصها فى البساطة وبعد التركب - كل ذلك يرشدنا الى ان عالم الغيب (اي الأسرار التى حجبت عنا) واسع . وقلة ما انكشف لا ترشدنا الى انحصاره فيها واحاطتنا بمجموعها بل ترشدنا الى ان ما جهلناه كثير بالنسبة الى ما عرفناه وتأمرنا ان نقف عن تعيين طرف لهذا الميدان لذي خولت البصيرة ان تجول فيه وحرم البصر

قلت في فكري ان الانسان محكوم في خلقته لنواميس تُحدِث خواطره وخواطرُه متضادة متنازعة كمال التضاد والتنازع . فإما ان هنالك قوتين متضادتين (من جنس القوة التي هي العقل) مسلطتين عليه وتصرفه تابع لنفوذهما على النسبة . و إما ان الأثرين المتضادين منفعلان عن المزاج الإنساني المركب من متضادات . وعلى الرأي الأول فالقوتان إما لهما وجود خارج الجسد . أو لا وجود لهما الا في الجسد . وان وجدا خارج الجسد فالمادة التى تقومان بها اما بسيطة واما مركبة . هـذه أسئلة تخطر في بال الذين يريدون ان يتوصلوا للحقائق من طريق كونيتها لا من طريق اسميتها . والعقل السليم يعلم ان هـذه الاحتمالات كلها جائزة . والقول بكل واحد ينفع في الدلالة على ان النواميس التى لها نفوذ على الإنسان هي أمور وجودية لها العلاقة العظمى في تفاوت أفراد النوع العاقل هذا التفاوت العظيم الذي بريتا رجلا يعلم أفضل شرع وأكمل آداب . ورجلا [illegible] الخمار والكهرباء وما يفعلان من سحر الالباب بروائع آثارهما وبدائعها . ورجلا يستحوذ على قلوب الألوف المؤلفة ببيان يبديه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويستنزل النفوس عن محبة الحياة فيقذفها بين القواصف والقواذف . ورجالا كثيرين لا يعرفون من الامر الا حيوانية وموتانا .

ولنا ان نقول ان النسبة بين الانسان وبين من هو دونه محفوظة بواسطة قريبة منه ومن التي هي دونها (كالنبات مثلا هو قريب من الحيوان لنموه مثله ومن الجماد لعدم تحركه بالارادة مثله) ونعلم قطعا ان الانسان على عظمته في الارض غير كامل . أما من حيث الصورة فلفنائها وأما من حيث الخاصة فلتردده في تحصيل مايعتبره سعادة (ولذلك يعيش الانسان في هذه الدار شقيا على كل حال اما بالآلام والأتعاب الجسدية واما بالآلام والأتعاب الفكرية واما بهما معاً) فيجب ان تكون النسبة المحفوظة بالتسلسل مع من دونه محفوظة أيضاً مع من فوقه . وليس في عالم الحس فوقه شيء

ففي عالم الغيب خالقان متضادان (تضاد المليح والقبيح) لهما علاقة بالانسان كعلاقة الانسان بمن دونه . وعلاقة الانسان بمن دونه هي احتياجه اليها لتكميل خاصته واحتياجها اليه لظهور خواصها فعلاقة هذين هكذا : يحتاجان اليه (بسنة الله في الخلق) لتكميل خواصهما ويحتاج اليهما لظهور خاصته . هذا القدر يكفيني ويكفيك ولا تسلني عن اسميهما وكنههما فأني اكره جدا ان يختلف العقلاء بسبب الأسماء وأحب يتقاربوا من مذاهب المعاني ويعتبروا الدلالات عرضاً تابعاً ويتساهلوا مع بعضهم في الاصطلاحات كيلا تكون سبب اختلافهم

أما خاصة الانسان التي يطلب تكميلها مادام حيا فهي التصرف بعوالم هذه الارض . فأما الذين تغلب فيهم قوة محبة الخير فيلهمون تصفية العقل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الغريزي (القابل للصفاء والكدورة) فتظهر في مرائي أفكارهم صور المعقولات. وتشرق عليهم من عالم الغيب أسرار ومعارف يحسن بها تصرفهم وتحمد آثارهم ويبقى ذكرهم حيا اذا اضمحلت صورهم يوما من الايام

واما الذين تغلب فيهم القوة الاخرى المضادة فتكدر عقولهم وتتشوش بكثرة الوساوس والتردد ويكثر شقاؤهم في طلب المشتهيات المادية ولن تنتهي وحرمانها اكثر من حصولها والم التزاحم عليها والتدابر لا توازيه ولا تسكنه لذتها. فبسوء تصرفهم تذم عقباهم ويموت ذكرهم كما يموت ذكر الانعام التي تحيي زماناً ثم تهلك.

ولما كان الانسان على هذه الصورة من التضاد المحسوس الذي يبتدئ في النفس على وجه التردد ثم ينفرج وتتمادى به الخطوط المتباينة وكان بحكم هذا التضاد منقسما الى ابرارهم أقل وأشرارهم اكثر لم يستغن عن قانون عام عادل وآداب جميلة مهذبة للنفوس ومعينة للقانون وعند قراءتنا في ماضي الانسان نجد ان الله جبر نقصه هذا فاصطفى من البشر اناساً هداهم، اوحى اليهم، علمهم شرائع وآداباً كما اقتضته حاجة الناس. وما وجدنا قط امة مرتقية ليست على اساس واحد من اسس الدين الذي جاء به المصطفون.

وهذا التضاد كما هو دليل (اول) على ماذكرناه هو دليل (ثان) على أن الباري تعالى هو المدبر للموجودات. لان تصرف الانسان الذي نوهنا به تصرف ناقص كما هو محسوس، وتصرف احدى القوتين ناقص ايضاً كما هو معقول، ولا بد لنا من تصرف اكمل لانه ظهر لنا شيء شاهد ان هنالك فوقه ما هو اكمل. التصرف الأكمل هو لاكمل شيء فيجب ان يكون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هو الباري تعالى رب العالمين . فكان الله تعالى خلق الانسان خلقاً خاصاً مدركا ليعرفه بنفسه وخلق فيه امثلة من الكمال ليعلم كمال الله ويعرف ان يمجده — وهو الغني — بعبارات يستعيرها . واوصاف يستعين بها مما عرف من الكمال المتجلي بنفسه المصنوعة على أبدع مثال في المحسوس، وأقرب منال في المعقول ، ثم ليدل بنقصه على كماله لم يجعله جازماً مستقلا في ارادته ولا دائماً مستمرًا في حياته ، ولا متحدا منتظماً في كلامه ، ولا مجيداً في كل تصرفه، ولا كاشفاً لكل شيء في علمه ، بل لم يجعل افراده وهم واحد في النوع على نسق واحد في الإرادة والحياة والكلام والقدرة والعلم . فكانه اراد ان يبين بهذا التفاوت في الأحوال والدرجات ناقصا منهم وانقص وكاملا واكمل لتجلي برهانه ان له السلطان والملك وبيده الامر كله والحكم

وهو دليل (ثالث) على ان الشرائع والاداب التي جاء بها المصطفون انما هي بوحي منه لانها مُعرِّفة به باديء بدءٍ نصاً على وفق ما تعرِّفُ به خلقة الانسان حالا واشارة وهذا اكمل تعريف وهيهات ان يستقل به عقل الانسان الناقص المتردد والتعريف الحق به هو اول ركن من اركان الشرائع التي يراد بها زجر النفوس

و« محمد » ذلك الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) قد لبث في الأميين زمناً طويلا من عمره . ثم ظهر عليهم وهو الأمي بمعارف من عالم الغيب يملأ شرحها على اسلوب الفلسفة دفاتر ، وأتى من القواعد العامة التي تصلح شرعا لكل زمان ومكان بما يملأ التفريع عليه أسفاراً ، ومن الآداب الجميلة بكلمات يسيرة ، بما يعجز أساطين علم الأخلاق عن ترتيب مثلها بدواوين ، قام بالامر وحيداً . وصدع بالهدي على رؤوس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الملأ فقوبل بالرد والدّعِ . فصبرت نفسه ولم تجزع ، وكبرت همته ولم تصغر ، واشتد عزمه ولم يضعف ، وما زال يخطب ويدعو ، ويؤنب طوراً ويترفق مرة ، حتى انتصر وأمرَ أمرُه . وتهذب على يديه جماعة منهم يقوون ان يتسلطوا بسلطاني العدل والاحسان على الأرواح والاشباح وما زال اسمه يسمو ، ودينه ينمو ، حتى طاف المشارق والمغارب ، واستقر في نفوس الاعاجم والأعارب ، فما في دينه من الأدب الرافع ، والنظام النافع ، وما في قومه الذين رباهم وأرشدهم من علو الهمة ، ومضاء العزيمة ، وما في انتشار دعوته في حياته وبعد مماته هذا الانتشار العجيب ، وما في سيرته الخصوصية من الكمال الانساني البديع ، وما في بقاء قرآنه على الحفظ من التبديل ، وما في وعوده التي وعد بها المؤمنين (كتمكنهم في الارض وصيرورتهم خلفاء في الارض) من الصحة ، كل هذه تكفي من سلمت فطرته ، وصحت فطنته ، ان يعلم صحة دعواه ، وفضيلة هداه ، ولا ينكر هذا الا مقلد أو معاند . اللهم صلى وسلم عليه ماشكرك الشاكرون ، وذكره الذاكرون

— اليوم الآخر —

بين الفلاسفة والمتكلمين اختلافات كثيرة في امكان الحشر وعدمه وفي وقوعه وعدمه . وفي لزومه وعدمه . وفي كيفيته . ونحن نختم هذه الرسالة بهذه الكلمة :

العقل حين يرى ان الانسان لم يبلغ في هذه الحياة غايته من سبيل الارتقاء . لامن حيث الصورة لأنه يموت . ولا من حيث الحال لأنه في شقاء الطلب والهرب . وفي شقاء التردد بين الحصول والحرمان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتوفيق والخذلان ، ولا من حيث العقل لانه محجوب عن عالم الغيب ، يخبط الى انه لابد من يوم آخر ليبلغ فيه الانسان غايته من حيث عدم الفناء ، ومن حيث عدم الحجاب ، ومن حيث التخلص من الاضداد ، فينقسم فيه الناس الى صنفين متباينين قسم فى جنة نعيم البال وسعادة الرضاء بما كسبوه في حسن تصرفهم ونعم المصير . وقسم في سعير شقاء الحال وشقاء الندم على ما اجترحوه بسوء تصرفهم وبئس المصير .

لتعي هذا أوجهُ حسك وعقلك الى انتهاء الاجسام المركبة الفانية الى اجسام بسيطة باقية سواء رجعت بها الى المبدإ او ذهبت بها الى المصير بتصيير ما . فهذا يرشدك الى امكان ان يرجع الشيء الباقي لاصله مهما امتزج بغيره . والروحيون من الفلاسفة لا يقولون بفناء الروح كما لا يقول الماديون منهم بفناء البسائط . فالروحيُّ ان يلزمه ان لا يستبعد رجوع هذه الروح يوماً من الايام كما جاءت اولا للماهية التي عرفت بها لتبلغ تلك الماهية بهذه الروح في ذلك اليوم غايتها التي اعدت لها . والمادي يلزمه ان لا يستبعد امتزاج تلك البسائط امتزاجا تاماً في يوم آخر كالامتزاج الاول الذي حصلت منه ماهية حي من الاحياء ليبلغ هذا الحي بهذا الامتزاج الثاني (الذي يحصل على كيفية ثانية) في هذا اليوم الاخر غايته التي اعدت له . وعارٌ على من يعلم ان المال (هذا الجوهر الكريم عندنا) قد استخلص من جنسه الفحم حتى صار كما يرى ان يستبعد ان تُستخلَص الانسان (هذا المخلوق المدرك الكريم عند فاطره تعالى) من جنسه الحيوان . وفريق منه من نوعه الانسان بأعظم من هذا المثال . اما اذا انتقل باليوم الآخر فأين تميز الانسان على الحيوان اذا ماتا ميتة واحدة واين تميز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الابرار على الاشرار اذا كان الامر مقصوراً على هذه الحياة .

اقول قولي هذا واستغفر الله وانيب اليه واسأله لي ولكم الهداية والتوفيق الى سبل السلام . اه في رمضان سنة ١٣٢٠ (ع . ز)

﴿ باب شبهات المسيحيين . وحجج المسلمين ﴾

« يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين . ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرًا لهم وأقوم ... »

قد علم قراء المنار أننا لم نفتح هذا الباب لطعن في دين النصارى أو غيره ابتداء وانما فتحناه لرد شبهاتهم التي ربما تشكك الجاهل بالاسلام في الدين مطلقًا فتفسد أخلاقه ويكون سيئة على نفسه وعلى الناس . ولا غرض لطعن الطاعنين بالاسلام الا هذا التشكيك الذي يحل الرابطة الاسلامية ويضعف المسلمين لانه يخرجهم عن كونهم أمة فيكونون أفرادًا متطلبين ، لا جنسية لهم ولا دين ، ولو أنهم كانوا يطمعون في تنصيرهم لكان لهم عندنا بعض العذر . ولكن التجربة أفادت التاريخ ان الملايين من النصارى صاروا مسلمين ولا يوجد بازاء كل مليون من هؤلاء واحد من المسلمين تنصر الا ما كان من أفراد ليس لهم من الإسلام الا وراثة لا تمنع من التدين لأولين .

قيل للسيد جمال الدين الأفغاني الحكيم الشهير (رحمه الله تعالى) : ما سبب الفترة التي مذهب الدهريين في الهند وعدم الاقتصار على الدعوة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الى النصرانية ؟ فقال إن المسلم يستحيل ان يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانية وزيادة فهو يأمر بالاعتقاد بنبوة عيسى وحقية دعوته ويرفض الخرافات والبدع التي زادتها الجمعيات النصرانية في دينه. فإذا جرب تدين يتبعون حل الرابطة الاسلامية الدعوة الى النصرانية فلم تنجح عمدوا الى تشكيكهم في أصل الدين المطلق بالدعوة الى الدهرية .

وكذلك لما رأي مثل صاحب الجامعة أن تشكيك المتنصرين النصرانية لا يجدي في المسلمين من الطريق الديني انبرى لتشكيكهم من الطريق العلمي وبذل جهده لإقناعهم (١) بأن دينهم كغيره عدو العقل والعلم و(٢) أن أئمتهم في العقائد (المتكلمين) ينكرون الاسباب و(٣) أن جميع السلطة الدينية والسلطة السياسية المدنية في خليفة الاسلام ضارة بالمسلمين وسبب لتأخرهم . ومن رأي صاحب الجامعة أن المسلمين اذا أرادوا الرقي والنجاح فلا بد لهم من سماع نصيحته وهي (١) أن يضعوا دينهم في جانب من العقل والعلم لانهما قاضيان بهدمه كقضائهما بهدم النصرانية فاذا حاولوا الجمع بين الدين والعلم كما ينصح لهم بعض أئمتهم بما ينشر في المنار وغيره فانما يحاولون محالا بل انما يهدمون دينهم فيخرجون بلا علم ولا دين . و(٢) أن يعتقدوا أن سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات مطردة في الواقع خلافاً لما يحكم به الدين وعلماء الكلام فاذا صدقوا بالواقع فعليهم أن يكذبوا أئمتهم والعكس بالعكس . و(٣) أن يجعلوا خليفتهم حاكماً مدنياً يخترع الشرائع والاحكام ويتركوا ما شرعه الله لما شرعه السلطان ويجعلوا الدين خاصاً بالعبادة لله تعالى . أي أنه يجب على المسلمين في رأي صاحب الجامعة أن يتركوا نصف دينهم وهو أحكام المعاملات الدنيوية ويجعلوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النصف الثاني لمن يريد أن يترك العقل والعلم والاسباب لاجل العبادة .

هذا ملخص نصح صاحب مجلة الجامعة للمسلمين ولاجل أن يجعله مقبولا اوردلهم كلمات عن بعض أئمتهم حرفها عن معناها ليخدع البسطاء بها وإننا نشرح هذه المسائل ونبين الحق فيها ليكون حجة على هؤلاء المبتدين الذين « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »

﴿ الأسباب أو سنن الله تعالى في الخلق ﴾

وإثبات الامام الغزالي لها

ذكر صاحب الجامعة في كتاب لفقه أننا أوردنا قوله تعالى « ولن تجد لسنة الله تبديلا » لإثبات أن النواميس الطبيعية لا تتغير ولا تتبدل ثم قال : « مع انه لو قام حجة الاسلام الامام الغزالي من قبره وسمع هذا القول لكسر قلم صاحب تلك المجلة وضحك من بساطته وعدم أطلاعه على الشؤن التي يبحث فيها لأنه استشهد بتلك الاية للغرض الذي ذكره مع أنها لم ترد في القرآن لهذا الامر بوجه الاطلاق »

يقول هذا صاحب الجامعة تمهيداً لخلابة المسلمين بأن ما يتحكم هو فيه من الحكم بتفسير كتاب الله برأيه الأفين مقتبس من الامام الغزالي الذي حرف قوله عن موضعه ولم يفهم مراده منه .

اذا كان الغزالي يضحك من (بساطة) من أخذ معظم علمه في الدين من كتابه إحياء العلوم اعتقاداً وعملا ودرسه من أول نشأته المرة بعد المرة كما درس كل ما اطلع عليه من كتبه بامعان وإخلاص — فهل يضحك او يبكي من (تركيب) جاحد معاند يلتمس من كلامه كلمة يحرفها عن موضعها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليغش المسلمين بشيء يخالف دينهم محتجاً بكلام امام من ائمتهم ولا موضع للاحتجاج ؛ نترك مثل هذا ونسرد مذهب الغزالي في الاسباب وسنن الله تعالى ونبين الحق في المسألة التي اشتبه فهمها على كثير من الناس حتى صار التشكيك فيها متيسرا لمثل صاحب الجامعة مع عوام المسلمين الذين لا يزال فيهم من يقرأ ما يكتبه ذهابا مع سماحة الاسلام

مذهب الغزالي : قال حجة الاسلام في الفصل الثالث من كتاب التوكل مانصه : « الاسباب التي يجلب بها النافع على ثلاث درجات، قطوع به ومظنون ظناً يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه . (الدرجة الاولى) المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما ان الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول : أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله : فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء . فانك اذا انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى . وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل هذا جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه » اهـ بحروفه

وبعد ان قرر ان هذه الدرجة لا يأتي فيها التوكل بترك العمل تكلم عن الدرجة الثانية وهي ما كان السبب فيها مظنونا وبين ان التوكل لا يأتي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيها أيضاً قال مانصه : « فاذاً التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لاينافض التوكل »

هذا التفصيل في جلب المنافع وقد أورد مثله في منعها وفي دفع المضرات التي أسبابها قطعية أو ظنية وبين ان التوكل انما يكون في ترك الاشياء الوهمية كالرقية والطيرة والكيّ التي ورد بها الحديث . ومما صرح فيه بذكر السنة الالهية هنا قوله : « وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقضي التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً » ثم أورد الشواهد من الكتاب والسنة وهي مشهورة .

وقال في الكلام على التداوي وهو من منع المضارّ هذه الكلمة الجليلة « ليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً » . وقال أيضاً في تداوي النبي صلى الله عليه وسلم « وإنما لم يترك الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيصاً لأمته فيما تمس اليه حاجاتهم »

وأظهر من هذا قوله بعد شرح طويل للاسباب : « فبهذا تبين أن مسبب الاسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب إظهاراً للحكمة والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يضاده الا في أحد أمرين احدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جليٌّ واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالأول . والثاني ان الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر في الباطن وأسباب من المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطاً كثيرة وقد يتفق في العوارض مايوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر . واختلال الاسباب أبداً ينحصر في هذين الشيئين والا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب ، اه بحروفه

فاي نص في التلازم بين الأسباب والمسببات أقوى من هذه الجملة الاخيرة ؟ فهذا هو الامام الغزالي الذي يوهم المسلمين صاحب الجامعة بأنه ينكر الاسباب وينكران معنى سنة الله التي لاتتبدل ولا تحول الاسباب وارتباطها بالمسببات . فهل بعد هذا يوثق بقول صاحب الجامعة أو بحسن قصده ؟ وهل يجوز لغير العالم الراسخ ان ينظر في قول هذا المشكك الذي يريد ان يفسد على عوام المسلمين عقائدهم ؟؟

(التوفيق بين هذا وبين ماقاله في تهافت الفلاسفة)

مسألة الاسباب التي شرحها الامام الغزالي في كتاب التوحيد والتوكل هي مايعتقده المسلمون وانما كتبها للمسلمين لانه بين في هذا الكتاب مقام التوكل الذي هو أعلى مقامات الايمان . وله كلام آخر في هذه مسألة مع الفلاسفة لا مع المسلمين . وكلامه هناك يجب ان يكون بلسان يخالف هذا اللسان ولكن لايناقضه ذلك انه هنا يشرح الواقع الذي يدل عليه الوجود وينطق بموافقته الشرع وهناك يتكلم على العلل والتأثيرات الحقيقية في الايجاد والاعدام وما قاله في الموضعين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هو الحق الذي لا محيد عنه كما بينه

ولا بد قبل الخوض في القسم الثاني من كلمة تمهيدية في الموضوع وهي ان المغرورين بالظواهر من الفلاسفة المتقدمين كانوا ينزلون الاسباب العادية الظاهرة منزلة العلل العقلية القاطعة وينسبون اليها التأثير ويزعمون أنها مطردة اطراداً ضرورياً يستحيل انفكاكه . ولو نهضت لهم الحجة البالغة على ذلك لما خالفهم المسلمون لان القاعدة المتفق عليها عند المتكلمين هي ان قدرة الله تعالى وارادته لا تتعلقان بالمستحيل وإنما تتعلقان بالممكن فقط . ولكن لا حجة لهم على ذلك وإنما هي شبهات كشف الحجاب عنها الغزالي وغيره . وتلك الاسباب التي مر القول في اطرادها ممكنة فهي مطردة بفعل الله تعالى

ولو سلم الناس بقول اولئك الفلاسفة لوقفت حركة العلم عند تلك الظواهر التي كانوا يرون تغييرها محالا عقليا وعدا المحال العقلي شيء واحد وهو اجتماع النقيضين او الضدين المساويين للنقيضين او ارتفاعهما . ولو ان هذه الغرائب التي كشفها العلم في عصرنا ذكرت لاولئك الفلاسفة القاصرين لجزموا باستحالتها واوردوا على ذلك من الشبهات النظرية مثلما أوردوه على القول ببعث الاجساد . وأمثلة بعث الاجساد ظاهرة اليوم لعلماء الكيمياء ظهوراً تاماً

قال الامام الغزالي في كتاب تهافت الفلاسفة ما نصه : « هذا ما اردنا ان نذكره في العلم الملقب عندهم بالالهي اما الملقب بالطبيعيات فهي علوم كثيرة نذكر أنواعها لتعرف ان الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها الا في مواضع » . وانبه القاريء الى عطفه الانكار على المنازعة لتغايرهما فالانكار هو القول ببطلان الشيء مرة واحدة والمنازعة هي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المباحثة في دليله ليظهر الصواب مأخوذة من منازعة الثوب بين اثنين .

ثم قال الامام بعد سرد انواع العلوم الطبيعية المعروفة الى ذلك العهد «وانما نخالفهم من جملة هذه العلوم في اربع مسائل (الاولى) حكمهم بان هذا الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة فليس في المقدور ولا في الامكان إيجاد السبب دون المسبب ولا وجود المسبب دون المسبب وأثر هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعيات » الى ان قال ما نصه « وإنما يلزم النزاع في الأولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات المعجزات الخارقة للعادة من قلب العصا ثعبانا وإحياء الموتى وشق القمر . ومن جعل مجاري العادات لازمة لزوماً ضرورياً أحال جميع ذلك . واولوا مافي القرآن من إحياء الموتى وقالوا اراد به إزالة موت الجهل بحياة العلم واوّلوا تلقف العصا لسحر السحرة بابطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد موسى شبهات المنكرين . واما شق القمر فربما أنكروا وجوده وزعموا أنه لم يتواتر » اهـ بنصه

ولينظر طلاب الحقيقة الى تحريف صاحب الجامعة النصرانية قول الامام كيف كان . الامام قال «وإنما يلزم النزاع في الاولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات المعجزات » ومعناه ان محل النزاع في المسئلة الاولى هو إنتفاء إثبات المعجزات بجعلها من المحالات العقلية التي لا يمكن وجودها ولا تتعلق قدرة الله بها . وصاحب الجامعة يقول عن لسان هذا الامام ما نصه : ثم قال وانما يجب علينا إنكار هذا القول لانه ينتفي به اثبات المعجزات » فجعل (الانكار) محل (النزاع) وزاد عليه جعله واجبا . وقد بينا الفرق بين للانكار والنزاع آنفا . فاذا كان نقل صاحب الجامعة عن رنان وعن غيره على هذا النحو من الفهم والامانة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فاننا نهيء من يقرأ ما يكتبه بأن علمه عين الجهالة ، وهدايته نفس الضلالة

ثم قال الامام الغزالي في بيان الحق في المسئلة من طريق العلم المؤيد لما يعتقده المسلمون ما نصه : « الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ولا إثبات احدهما متضمن لاثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر مثل الري والشرب . والشبع والاكل . والاحتراق ولقاء النار . والنور وطلوع الشمس . والموت وجز الرقبة . والشفاء وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلمجرا الى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف . وان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه لخلقها على التساوق لا لكونه ضروريا في نفسه غير قابل للفرق بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت دون جز الرقبة وادامة الحياة مع جز الرقبة وهلمجرا الى جميع المقترنات وانكر الفلاسفة امكانه وادّعوا استحالته ثم ضرب لذلك مثالا واضحا لا حاجة لذكره

وما ذكره الامام الغزالي هنا هو ما عليه فلاسفة هذا العصر فانهم لا يقولون بأن شيئاً من هذه المقترنات في العادة المعروفة بالاسباب والمسببات هو ضروري واجب عقلا وانفكاكه محال لا يتصوره العقل بل كل هذه الاشياء عندهم ممكنة . وانفكاك التلازم وقع كثيراً ويسمون مالا يعرفون له منه علة « فلتات الطبيعة » وبعض الانفكاك كان بما اكتشفه العلم من اسرار الكون ويتوقعون بهذه الاكتشافات ما لم يقع كإحياء الموتى ولو كان في نظرهم محالا لما توقعوه . ولكن صاحب الحامية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يميز بين الضروري والممكن فيخلط المسائل بعضها ببعض . وقد صرح الغزالي فيما تقدم آنفا بان المتلازمين في العقل تلازماً يثبت بأحدهما بثبوت الآخر وينتفي بانتفائه هما اللذان يستحيل انفكاك تلازمهما الان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل

(الوفاق بين قولي الغزالي ومذهب باكون)

تقدم ان الغزالي قال في كتاب التوكل ان سنة الله في نظام الكون هي ان الاسباب مرتبطة فيه بالمسببات ارتباطاً كلياً لا يختل الا اذا لم تستوف الشروط التي يتحقق بها السبب حتى قال ان السبب يتلو المسبب عند عدم المانع «لا محالة» وفسر مثل قوله تعالى « فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » بهذا النظام في الارتباط بين الاسباب والمسببات وهو التفسير المتعين . وقال في كتاب تهافت الفلاسفة ان هذا الارتباط بين الاسباب والمسببات العادية على اطراده ليس بضروري في نظر العقل وعدمه ليس محالا وانما هو ثابت في الواقع ونفس الامر بحكمة خالق الكون ومدبره واذا كان الله قد أحكم بحكمته الروابط بين حوادث الكون فينبغي للناس أن يبحثوا عنها ويهتدوا بها في مصالحهم ومنافعهم ولا يتوقف هذا الاهتداء على كون كل ما يظهر في العادة سبباً لشيء ان يكون انفكاكه عنه محالا عقليا

ويعلم الناظر في فلسفة القدماء أنهم كانوا يعتمدون على الادلة النظرية في الحكم باستحالة الشيء أو إمكانه أو وجوبه عقلا فالغزالي وغيره من أئمة علم الكلام بينوا ان المستحيل العقلي هو ما كان بمعنى اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما أو اجتماع الضدين بمعنى النقيضين . وقالوا ان المستحيل والواجب الضروري في نظر العقل لا تتعلق بهما قدرة الله تعالى وإنما تتعلق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قدرة الله تعالى بالممكن فقط . فكانت فائدة قول المتكلمين في أمرين عظيمين هما أساس لترقي البشر (أحدهما) ان ما ثبت أنه ضروري (واجب) أو مستحيل لا يطمع فيه الطامع لا من جهة الكسب ولا من جهة الالتجاء الى الله تعالى لانه لا يتغير . (ثانيهما) ان للممكنات سننا منتظمة ينبغي للانسان ان يعرفها وينتفع بها ولكن لا ينبغي أن يوقف حركة استعداده عند ما يظهر له بادي الرأي أنه لا يتغير بل عليه أن يبحث لعله يقف على سنة إلهية أخرى تكون السنة التي ظهر له اطرادها مشروطة بها فيجمع بين الانتفاع بالسنتين معاً . مثال ذلك أن السنة الالهية الظاهرة في النار أنها تحرق ما يقبل الاحتراق . فلا ينبغي للانسان ان يجزم بأنه لا يمكن ان ينفي هذا الاحتراق لأنه ضروري بل عليه أن يبحث لان الاحراق ممكن وربما يكون حصوله مشروطاً بانتفاء وجود مادة من المواد لو عرفت يمتنع الاحراق بها . وقد اكتشف الآن ما يمنع الاحتراق في الجملة وانتفع به في وقاية المكاتب العمومية

فبهذا التقرير أتى حجة الاسلام على تلك الفلسفة النظرية من القواعد (وإن أساء ابن رشد في فهم بعض قوله وكابره في بعضه) وأظهر حكم الدين الاسلامي في إطلاق العقل الانساني من تلك القيود النظرية ليسبح في ملك الله مهتدياً بسنن الله في خلقه . وقد [illegible] على هذا الأثر فقرر ان الأدلة النظرية لا يعتمد عليها في إثبات المسائل العلمية ما لم تؤيد بالتجربة والاختبار . قال باكون هذه الكلمة التي يعدونها أساس النهضة العلمية الجديدة في أوربا وقد كانت معروفة عند المسلمين من قبله (كما تقدم في مقالات الاسلام والنصرانية) وما كانت عنده أكثر جلاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ووضوحاً لأنه كان يعتقد بخلافها كالتنجيم والكيمياء القديمة وحجر الفلاسفة وهي أمور وهمية لا ترتقي الى ان تكون نظرية مظنونة . ولكن اوربا كانت مستعدة بارتقاء العلم فيها الى الاخذ بما قال من وجوب الاعتماد على التجربة والاختبار فعملوا بذلك وارتقى العلم به وعدوا كون إمام هذه الطريقة التي قررها المسلمون وعملوا بها من قبله

والنتيجة ان صاحب الجامعة أخطأ في زعمه ان الامام الغزالي أنكر الاسباب . وفي زعمه ان مذهبه في السنن الالهية غير ماقلناه في « المنار » وندعو اليه دائماً . وفي زعمه أن بينه وبين قاعدة باكون سوراً عالياً . وفي زعمه أيضاً ان التلازم بين الاسباب والمسببات أو النواميس اذا لم يكن ضرورياً (أي واجباً عقلياً يستحيل عدمه) تصير النواميس فوضى فان خالق الكون وواضع نواميسه اذا كان حكيما لايفعل شيئاً الا بنظام كما دل على ذلك كتابه العزيز ودل عليه الوجود فكيف يكون الأمر فوضى . ومن قال ان النظام في الكون مشروط بكون الله تعالى غير قادر وغير حكيم ؟ ما قال بهذا الا صاحب الجامعة النصرانية يثبت ان مذهب المتكلمين المسلمين باطل في نفسه ومؤدٍ الى انكار حكمة الله تعالى وقدرته . ولم نر من المنكرين على الدين أشد تهافتاً في طعنه بالاسلام وأئمته الاعلام مثل هذا الكاتب الجديد الذي حاول الشهرة والنجاح من غير طريقهما كما فعل ذلك المعتوه الذي تخلى في مذبح تلك الكنيسة العظيمة ليشتهر اسمه . فبئست الشهرة بمكابرة الحق وتحريف كلام الائمة لاجل دريهمات تجيء من عدو للاسلام ، يجب ان يتشفى من أهله ولو بزور الكلام ، وهو أعلى من أن تعرج اليه الاوهام ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القسم العمومي

الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى

في مكة المكرمة • يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق على العادة المألوفة وأذن الأستاذ الرئيس للسيد الفراتي بإتمام بحثه

فقال (السيد الفراتي) ان من أعظم أسباب الفتور في المسلمين غرارتهم أي عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فيهم من يرشدهم الى شيء من ذلك بخلاف الامم الأخرى فان من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة أي الارشاد الى الحكمة في شؤن الحياة • وأما الأقوام الذين ليس عندهم خدمة دين أو الشراذم الذين لا يهتمون لخدمة دينهم فمستغنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو التربية المدرسية والأخذ من كتب الأخلاق وكتب تدبير المنزل ومفصلات فن الاقتصاد والتواريخ المتقنة والروايات الاخلاقية والتمثيلية أي كتب الحكايات الوضعية ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين

على ان الخاصة السالمين من الغرارة علماً لا يقوون غالباً على العمل بما يعلمون لأسباب شتى منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية والصبوة ومنها عدم التمرن والالفة (١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم الاستمرار على نظام مخصوص في معيشتهم

ثم قال ولا أرى لزوماً للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لأنها مدركة مسلمة عند الكافة وهي ما ينطوي تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا : ان المسلم مصاب • وان الله اذا أحب عبداً ابتلاه • وان أكثر أهل الجنة البله • وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه • وان غيرنا مستدرجون • وانهم كلاب الدنيا • وانهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا • وانهم في غفلة عن الموت وغفلة عن ان الدنيا شاخت •

ثم قال فمن (الغرارة) في طبقاتنا كافة من الملوك الى الصعاليك اننا لا نرى ضرورة للاتقان في الأمور وقاعدتنا ان بعض الشيء يغني عن كله • والحق ان الإتقان ضروري

---

(١) كما يتربى أولاد أكثر أمرائنا على أيدي اللالات أو الخادمات وما أدراك ما تلك الحيوانات • اهـ من هامش الأصل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للنجاح في أي أمر كان بحيث اذا لم يكن مستطاعاً في أمر يلزم ويتحتم ترك ذلك الامر كلياً والتحوّل عنه الى غيره من المستطاع فيه ايفاء حق الإتقان .

(ومن الغرارة) توهمنا ان شئون الحياة سهلة بسيطة فنظن ان العلم بالشيء اجمالاً ونظرياً بدون تمرن عليه يكفي للعمل به فيقدم أحدنا مثلا على الإمارة بمجرد نظره في نفسه انه عاقل مدبر قبل ان يعرف ماهي الإدارة علماً ويتمرن عليها عملاً ويكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها .

ويقدم الآخر منا على الاحتراف مثلا ببيع الماء للشرب بمجرد ظنه ان هذه الحرفة عبارة عن حمله قربةً وقدحاً وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ولا يرى لزوماً لتلقي وسائل إتقان ذلك عمن يرشده مثلا الى ضرورة النظافة له في قربته وقدحه وظواهر هيئته ولباسه وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه (كذا) ويوهم بصفائه ليشهي به ومتى يغاب العطش ليقصد المجتمعات ويتحرى منها الخالية له عن المزاحمين وكيف يتزلف للناس ويوهم بلسان حاله انه محترف بالإسقاء كفًّا لنفسه عن السؤال الى نحو هذا من دقائق إتقان الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها وان كانت صنعته بسيطة حقيرة .

ومن الغرارة ظننا ان الكياسة في : أدري وأقدر : جواباً للنفس في مقاصد كثيرة شتى والحقيقة ان الكياسة لاتحقق في الانسان الا في فنّ واحد فقط يتولع فيه فيتقنه حق الإتقان كما قال تعالى « ماجَعَلَ اللهُ لرجلٍ مِن قلبَيْنِ في جَوْفِهِ » فالعاقل من يتخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره : لا أدري ولا اقدر : لأن الأول يتكلف اعمالا لايحسنها فتفسد عليه كلها والثاني يحرى لكل عمل لازم له من يحسنه فتنتظم اموره ويهنأ عيشه .

فالملك مثلا وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يثق بأخلاقه ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات فالملك مهما كان عاقلا حكيما لايقدر على إتقان أكثر من وظيفته المذكورة . فالملك اذا تغرر وتنزل للتداخل في أمور السياسة أو الادارة الملكية أو الأمور الحربية أو القضاء فلا شك انه يكون كربّ بيت يداخل طباخه في مهنته ويشارك بستانيّه في صنعته فيفسد طعامه ويبور بستانه فيشتكي ولا يدري ان آفته من نفسه .

ومن « الغرارة » اللوث في الامور أي تركها بلا ترتيب والحكمة قاضية على كل انسان ولو كان زاهداً منفرداً في كهف جبل فضلا عن سائس رعية او صاحب عائلة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ان يتخذ له ترتيباً في شئونه وذلك بأن يرتب

(اولا) أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أوقاته والشغل الذي لا يجد له وقتاً كافياً يهمله بالكلية او يفوضه لمن يفي حق القيام به عنه .

(ثانياً) يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه فان ضاق دخله عن المبرم من خرجه يغير طرز معيشته ولو بالتحول مثلا من بلده الغالية الأسعار او التي مظهره فيها يمنعه من الاقتصاد الى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

[ثالثاً] يرتب تقليل غائلة عائلته عند أول فرصة ملاحظاً اراحة نفسه من الكدّ في دور العجز من حياته فيربي أولاده ذكوراً وإناثاً على صورة ان كلاً منهم متى بلغ أشده يمكنه ان يستغني عنه بنفسه معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

(رابعاً) يرتب أموره الادبية على نسبة حالته المادية أعني يرتب أموره الدينية ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً فلا يحمل نفسه منها ما لا تطيق الاستمرار عليه .

(خامساً) يرتب ميله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي فلا يترك نفسه تتطاول الى مقامات ليس من شأن قوته المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ اي المصادفة . وخلاصة البحث ان الفرارة من أقوى اسباب الفتور وقد اطلت في وصفها وإيضاحها ليتأكد عند السادة الاخوان ان ازالة اسباب الفتور الشخصي ليس من عقبات الامور .

ثم قال ان لانحلال اخلاقنا سبباً مهمًّا آخر ايضا يتعلق بالنساء وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا حيث كان يوجد في نسائنا كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي اخذنا عنها نصف علوم ديننا وكمئات من الصحابيات والتابعيات راويات الحديث والمتفقهات فضلا عن الوف من العالمات والشاعرات — اللاتي في وجودهن في العهد الاول بدون انكار — حجة دامغة ترغم انف غيرة الذين يزعمون ان جهل النساء احفظ لعفتهن فضلا عن انه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون حتى يصح الحكم بان العلم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة . نعم ربما كانت العالمة اقدر على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة اجسر عليه من العالمة . ثم ان ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضح غنيٌّ عن البيان وانما سوء تأثيره في اخلاق الازواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث فأقول .

ان الرجال ميالون بالطبع الى زوجاتهم والمرأة اقدر مطلقاً من الرجل في ميدان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التجاذب للاخلاق ولا يتوهم عكس ذلك الا من استحكم فيه تغرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته حال كون حقيقة الأمر انها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت. وبتعبير آخر يغره انه أمامها وهي تتبعه فيظن انه قائد لها والحقيقة التي يراها كل الناس من حولهما دونه انها تتمشى وراءه بصفة سائق لا تابع. وما قدّر قدر دهاء النساء مثل الشريعة الاسلامية حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصراً لسلطتهن وتفرغهن لتدبير المنزل فأمرت باحتجابهن احتجاباً محدوداً بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب وعدم الاجتماع بهم في خلوة أو لغير لزوم. وأمرت باستقرارهن في البيوت الا لحاجة ولا شك أنه ما وراء هذه الحدود الا فتح باب الفجور. وما هذا التحديد الا مرحمةً بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة.

والصينيون وهم أقدم البشر مدنية التزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها لاجل ان يعسر عليهن المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة ذلك الشرف الذي هو من أهم مقاصد الشرقيين بخلاف الغربيين الذين لا يهمهم غير التوسع في الماديات والملذات.

وقد امرت الشريعة برعاية الكفاءة في الزوج وذلك ايضاً مرحمة بالرجال والأئمة المجتهدين أغفلوا لزوم تحري الكفاءة في جانب المرأة للرجل وأوجبوا ان يكون هو كفؤاً لها فقط لكيلا تهلك بفخارها وتحكمها على ان لرعاية الكفاءة في المرأة بالنسبة الى الرجل ايضاً موجبات عائلية مهمة منها التخير للاستسلام والتخير لتربية النسل. وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن لان التزوج بمجهولات الاصول او الأخلاق او بسافلات الطباع والعادات او بالغربيات جنساً او الرقيقات مفاسد شتى لأن الرجل ينجرُّ طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته فان كانت سافلة يتسفل لا محالة وان كانت غريبة بغضت اليه قومه وجرته الى موالاة قومها والتخلق باخلاقهم ولا شك ان هذه المفسدة تستحكم في الاولاد اكثر من الازواج

وربما كان أكبر مسبب لانحلال اخلاق الامراء من المسلمين أنهم من جهة الامهات والزوجات السافلات اذ كيف يرجى من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة(١) أن تترك بعلها وهو في الغالب أطوع لها من خلخالها أن يجيب داعي شهامة أو مروءة أو أن تغرز في رؤس صبيتها مقاصد سامية أو تحمسهم على أعمال خطرة كلاّ لا تفعل ذلك أبداً انما تفعله الشريفات اللاتي يجدن في أنفسهن عزة وشهامة (٢) وهذا هو

(١) كالكرجيات الارمنيات والرقيقات الجركسيات امهات اكثر الامراء وزوجاتهم

(٢) كبنات بيوت المجد الحريصات على الفخر وبنات أهل البادية والقرى الابيات النفوس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سرّ ان أعاظم الرجال لا يوجدون غالباً الا من أبناء وبعول نسوة شريفات أو بيوت قروية وهذا هو سبب حرص امراء العرب والافرنج على شرف الزوجات

(ثم قال السيد الفراتي) أيضاً: واني أرى ان هذا الفتور بالغ في غالب أهل الطبقة العليا من الامة ولا سيما في الشيوخ مرتبة (الخور في الطبيعة) لاننا نجدهم ينتقصون أنفسهم في كل شئ ويتقاصرون عن كل عمل ويحجمون عن كل إقدام وينوقعون الحيبة في كل امل. ومن أقبح آثار هذا الخور نظرهم الكمال في الاجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آبائهم ومعلميهم فيندفعون لتقليد الاجانب واتباعهم فيما يظنونه رقةً وظرافةً وتمدناً وينخدعون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به فمنهم من يستحي من الصلاة في غير الخلوات. وكإهمال التمسك بالعادات القومية فمنهم من يستحي من عمامته. وكالبعد عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قومهم من سقط البشر. وكنبذ التحزب للرأي كأنهم خلقوا قاصرين. وكالغفلة عن ايثار الاقربين في المنافع. وكالقعود عن التناصر والتراحم بينهم كي لا يشم من ذلك رائحة التعصب الديني وان كان على الحق — الى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الخور من المسلمين الحميدة في الاجانب لان الاجانب يموهون عليهم بأنهم يحسنون التحلّي بها دونهم

وهؤلاء الواهنة يحق لهم أن تشق عليهم مفارقة حالات الفوها عمرهم كما قد يألف الجسم السقم فلا تلذ له العافية فانهم منذ نعومة أظفارهم تعلّموا الأدب مع الكبير يقبلون يده أو ذيله أو رجله. وألفوا الاحترام فلا يدوسون الكبير ولو داس رقابهم. وألفوا الثبات نبات الأوتاد تحت المطارق. وألفوا الانقياد ولو الى المهالك. وألفوا ان تكون وظيفتهم في الحياة دون الثبات ذاك يتطاول وهم يتقاصرون، ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الارض كأنهم للموت مشتاقون. وهكذا طول الألفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق وجعل عندهم المخازي مفاخر فصاروا يسمون التصاغر أدباً والتذلل لطفاً والتملق فصاحة واللكنة رزانة وترك الحقوق سماحة وقبول الاهانة تواضعا والرضاء بالظلم طاعة كما يسمون دعوى الاستحقاق غروراً والخروج عن الشأن الذاتي فضولاً ومد النظر الى الغد أملا والاقدام تهوراً والحمية حماقة والشهامة شراسة وحرية القول وقاحة وحب الوطن جنوناً

ثم قال وليعلم ان النشء الذين تعقد الأمة آمالها باحلامهم عسى يصدق منها شيء

اهـ من هامش الاصل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتتعلق الاوطان بجبال همتهم عساهم يأتون فعلاً مذكوراً هم اولئك الشبان ومن في حكمهم المحمديون المهذبون الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهم فيحرصون على القيام بمبانيه الاساسية نحو الصلاة والصوم ويجتنبون مناهيه الاصلية نحو الميسر والمسكرات الذين لايقصرون بناء قصور الفخر على عظام نخرها الدهر ولا يرضون ان يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف الذين يعلمون انهم خلقوا احرارا فيأبون الذل والاسارة . الذين يودّون ان يموتوا كراما ولا يحيون لئاما . الذين يجهدون ان ينالوا حياة راضية حياة قوم كل فرد منهم سلطان مستقل في شؤنه لايحكمه غير الدين وشريك أمين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والهناء وولد بارّ بوطنه لايخل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله . الذين يحبون وطنهم حب من يعلم انه خلق من ترابه . الذين يعشقون الانسانية ويعلمون ان البشرية هي العلم والبهيمية هي الجهالة . الذين يعتبرون ان خير الناس أنفعهم للناس الذين يعرفون ان الفنوط وباء الآمال ، والتردد وباء الاعمال . الذين يفقهون ان القضاء والقدر هما السعي والعمل . الذين يوقنون ان كل ما على الارض من أثر هو من عمل أمثالهم البشر فلا يتخيّلون الا المقدرة ولا يتوقعون من الأقدار الا خيراً .

وأما النشء المتفرنج فلا خير فيهم لأنفسهم فضلا عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً وذلك لأنهم لا خلاق لهم تجاذبهم الاهواء كيف شاءت لا يتبعون مسلكا ولا يسيرون على ناموس مطرد لانهم يحكمون الحكمة فيفتخرون بدينهم ولكن لا يعملون به تهاوناً وكسلا (١) ويرون غيرهم من الامم يتباهون بأقوامهم ويستحسنون عاداتهم ومميزاتهم فيميلون لمناظرتهم ولكن لايقوون على ترك التفرنج كأنهم خلقوا أتباعاً (٢) ويحبون الناس يعشقون أوطانهم فيندفعون للتشبه بهم في التشبيب والاحساس فقط

---

(١) اكبر مايشق عليهم ويتكاسلون عنه الصلاة التي هي عماد الدين . ولنخاطبهم بلسانهم فنقول : ان الطهارة والوضوء هما عين (التواليت) أو بعضه وتمكن بدقيقتين أو ثلاث وأفعال الصلاة هي عين (الجمنستيك) وأكمل منه لانها موزعة ولا تستغرق الركعة منها اكثر من دقيقة فأطول صلاة تطول عشرة دقائق . بناء عليه فليبك على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم اللذين لو لم يكن فيهما حكمة غير أنهما شعار يعرف بهما المسلم أنه لكفى . (٢) هذه حكمة الشرع في حظره ترك سنة الاسلاف وتقليد الاغيار ولو في اللباس وهذه الامم الافرنجية تنفر من التقليد حتى في القياسات والموازين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دون التشبث بالاعمال التي يستوجبها الحب الصادق . والحاصل ان شؤون النشء المتفرنج أيضاً لا تخرج عن تذبذب وتلون ونفاق يجمعها وصف « لاخلاق لهم » والواهنة خير منهم لانهم متمسكون بالدين ولو رياءً وبالطاعة ولو عمياء على انه يوجد في المتفرنجة أفراد غيورون كالراسخين من أحرار الاتراك الملتهبين غيرة يقتضي احترام مزيتهم

ثم قال (السيد الفراتي) ان الخور المبحوث فيه علة معدية تسري من الشيوخ الى الشبان ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والخمول وسقوط الهمة والدناءة والاستسلام فيتركوا أهل النشأة الجديدة وشأنهم لايستهزؤن ولا يمطلون ولا يسفهون ولا يثبطون وما أظنهم بفاعلين ذلك أبداً الا أن تتصدى لهم جرائد مخصوصة تقابلهم باللوم والتبكيت وتتسلط عليهم أقلام الأدباء وألسنة الشعراء بوضع أهاجي وأناشيد بعبائر بسيطة محلاة بنكت مضحكة لكي تنتشر حتى على ألسنة العامة . ومثل هذا التدبير تثور حرب أدبية بين النشء والواهنة لاتلبث أن تنتهي بانكسار الفئة الثانية أولئك البائسين المتفاشلين المتواكلين المتقاعسين المتخاذلين المتشاكسين العاجزين عن كل شيء الا التعطيل

ومن راجع تواريخ الامم التي استرجعت نشأتها والدول التي جددت عصبيتها يجد من حكمائها ونجبائها مثل حسان قريش وكميت العباسيين ولوتر الالمانيين وفولتر الفرنساويين قد تغلبوا على الفكر الواهن وأنصاره من الأشراف والشيوخ وأهل العناد والفساد بحمل لواء النشء وإثارة حرب أدبية حماسية بين الفئتين على اننا نحن تكفينا الفوضى ولا نحتاج قط للفوضى لأن واهنتنا أضعف من أن نحوجنا أن ننتظر أمّ حسانٍ تلد حسّاناً ورب حيلة أنفع من قبيلة (٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧١٢٤٠٤٣٣٣٢١ ٣٥٤٢٩٣٤٨٤٧٢٢٦٤٢٥٥٤٢٤٢٤٨٢٢١٣٠٧١٩٢٣٤١٧٤٦١٦٨٢٤٢١٣١١ ١٩٠٥٠٥٣٣٤٧٨٦٦٢٤٥٥٢٤٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٣٩٤١٧٧٦٦٨٧٥٣٩٣٧٤٢٣٥ ٢٥٩٤١٤١٠٢٦١١١٨١٠١٤٩٧٨٥٥٥٨٤٣٢٢٨٨٩٣٥٧٤٥) وهذا أنجع دواء والله ولي النيات

ثم ختم (السيد الفراتي) كلامه بقوله هذا ما سنح لي في هذا المرام وقام، وتبادل مع مع الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري المقام

قال (الأستاذ الرئيس) ان مباحث الجمعية قد استوفت حقها وكفاني السيد الفراتي تلخيص أسباب الفتور منها ولا أرى لزوماً لتلخيص بقية المباحث الدينية

وقد أعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السانحة) التي وضعتها اللجنة مطبوعة في نسخ على عدد الاخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع المذاكرة حيث يجث فيها قضيةً فقضية بدون جزاف وأما اليوم فقد حل أوان الانصراف

بادر (السيد الفراتي) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من سانحة القانون. فأخذوها وتفرقوا

باب التربية والتعليم

الشذرة العاشرة من مجموعة الدكتور اراسم (*)

التقليد والذاكرة

مثل هاتين القوتين في فتنة العقل والتغرير به كمثل الفتانات الخرافية التي كانت تظهر في بحر صقلية وتستهوي الملاحين بشجي صوتها فتوردهم في شعابه موارد الهلكة فانهما بعلو مكانتهما وجلال خطرهما في دراسة اللغات وبخداعهما العقل أحياناً في آدابها بما يأخذانه عن الغير من محاسن القول وطرائفه يأكلان الاستعداد الحقيقي أكلا. وقد يكون الذنب في ذلك على المربين دونهما لما ينهجونه من طريقة التربية فان أحداً لا يرتاب في كون تينك القوتين من المواهب الخلقية الميمونة بيد أن هذا لا ينبغي أن يكون سبباً للافراط في تمنيها فانك ترى التلميذ الذي تربى على طريقتنا يصف لك بما قرأه في الكتب أشياء لم يرها في حياته ويفوه أمامك بجمل من القول المنثور أو المنظوم تدل على ضروب من الوجدان هو لم يشعر بشيء منها قط ويبدي من الهيج والانفعال في بعض أحوال لا علاقة له بها من حياة غيره ما لا أثر له في نفسه ولو أنك سألته أن يتغنى بذكر الاشجار وظلالها والانعام ورعاتها والربيع وأزهاره لوجد فيما يذكره من محفوظاته جميع ما قاله فيها فرجيل (١) وهوراس (٢) من النعوت والاوصاف

(*) معرب من كتاب أميل القرن التاسع عشر (١) راجع عدد (١) من تعليقات الشذرة التاسعة (٢) هوراس شاعر لاتيني مشهور ولد في سنه ٦٧ ومات سنة ٨ قبل المسيح.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومع انه قد يكون خيراً له أن يذهب الى المزارع ويرى بنفسه ما يحصل فيها وكيف يحصل تراه شديد الاحتراس من موافاتها خشية أن يخسر فيها اللاتينية وما تواضع عليه الاقدمون من الصور اللفظية لتأدية ما كان يعرض لاذهانهم من المعاني والافكار واذا استوصفته قتالا انبرى يصف لك ما استعمل فيه من الآلات وكيف كان اصطدام الجيشين بالفاظ مطنطنة وعبارات مجلجلة وهو لم يشهد شيئاً من ذلك أبداً فاذا كان مرادك اختباره في محاصرة العدو وجدته قد انتهى من حصاره كما انتهى فرتوت(١) ولقد عرفت فيما سبق تلميذاً كان يبدو عليه كثير من مخايل النجابة نال اكليلا مكافأة له على قرضه شعراً وصف فيه زج سفينة في البحر وهو لم ير في عمره سفينة ولا بحراً.

نعم ان الشبان في هذه الايام لا يكادون ينفلتون من المدارس الا وهم رافضون لآثار السلف نابذون لها ظهريا غير انه لا معنى لهذا الا انهم يعتاضون عن مُثُل الغابرين مُثُل الحاضرين لان محو طيات التقليد وغضونه من النفس وارجاعها الى صقالتها الفطرية ليس من السهولة بالمقدار المتوهم فاننا كل يوم نقرأ في وصف الكتاب والشعراء المبتدئين قول واصفيهم في الواحد منهم انه نابغة يفتش على نفسه فليقل لى بربه هذا الفتاش أين أضل نفسه حتى أصبح ينشدها

ان تربية تكون بدايتها إضلال وجدان الاستقلال الى حد انه ينبغي لأجل الاهتداء اليه تلمسه سنين طويلة لمن الغرابة بمكان

أنا لا أشتهي ولا أرجو أن يكون « أميل » ميالا الى وقف نفسه على دراسة آداب اللغة ولو أني وهيلانة دأبنا في تحبيبها اليه وأفنحنا في حجب حالة عقله بزخارف الذاكرة لاخفقنا في مسعانا الى غايتنا المطلوبة. فاتقاء لهذا الخطر تراني مصمماً على ارجاء تعليمه اللغات القديمة واقرائه كتب مؤلفيها وقد جعلت له مشاهدة الاشياء مقدمة على علم الالفاظ فاصبحت علومه على ما فيها من النقص لها أصول في الخارج ترجع اليها ودعائم في الواقع تستقر عليها وسميت في اتيانه من آلات الضبط والدقة

(١) فرتوت هو اسقف مؤرخ من الفرنجة ولد سنة ١٦٥٥ ومات سنة ١٧٣٥ ق. م. وهو مؤلف كتاب الفتنة السويدية والفتنة الرومانية وتاريخ الاشراف الكرام والمؤرخ يلمح الى واقعة لهذا المؤرخ وهي انه كان يكتب تاريخاً لحصار رودس وانتظر طويلا ورود أنباء صحيحة له عنه فلم تحضر فاتم تاريخه قبل ورودها ثم قال انني متكدر من ذلك ولكن قد انتهيت من حصاري

العقلية ما هو لازم للانسان في بحثه عن الحسن والحق أكثر جداً من سعيي في الافضاء اليه بما لي أو ما لغيري من المعاني

وقبل ان اجعل البحث في مثل الاقدمين في مكنته سأعنى كل العناية بتنبيهه الى ان هـذه المُثُل لاتقلد فانه من السخف المحقق ان نباري الغابرين مباراة نحن على يقين من غلبنا فيها من قبل ان ندخلها وكيف لانكون مغلوبين لهم ونحن نرضى لانفسنا طريقتهم في الكلام والكتابة والذي لاغضاضة علينا في أخـذه عن كتّاب اليونان والرومان انما هو روح آداب لغتهم وما يناسب كل زمان وكل قوم من أساليب الانشاء وترتيب المعاني والدِّقة في التعبير عنها وانتقاد الالفاظ اللائقة بها فكما ان من يعاشر بعض خواص الاجانب يقتبس شيأ من خصائصهم بغير ان يكون ذلك موجباً لشابهتـه لهم بحال من الاحوال كذلك معاشرة الاقدمين بواسطة ماتركوه من آثارهم توحي الينا شيئاً من عوائد العقل واللسان المناسبة لكافة الاقوام المستضيئين بضياء العرفان .

التقليد الخسيس سواء قلد فيـه الغابرون أو الحاضرون لايقتصر سوء أثره على إضعاف الذوق والميل الى الفنون بل انه يسلب الناشئين شرف النفس وكرامتها فلشدّة مايخدعون بما تؤديه لهم الالفاظ عند قبولهم اياها من المعاني صحيحة أو فاسدة لان أساليب الإنشاء والالفاظ والجمـل تفعل في نفوسهم مايفعله السحر الحقيقي فتراهم يتوهمون انهم يتفكرون فيما يقولون ويكتبون والحق انهم يرددون مافكر فيه المفكرون ولعمري ان هـذا هو أصل بعض الاباطيل التي تحاول من قرون عديدة اطفاء نور العقل . ذلك ان ضروب الاستعباد متلازمة فمن قبل واحدا منها فقد أخـذ على نفسه الرضوخ الى جميعها الا ترى الشاب المتعلم الذي اعتاد تقليد مايصـفه المقلدون بالمُثُل الحسنة يصاحبه في سيرته وأطواره روح اللين والانقياد الذي ألفه من التقليد فتجده يجبن ويفزع عند كل عزيمة ذاتية

نعم انه قد يخاطر بحياته في براز أو يعرضها للهلكة في ساحة قتال لانه يرى ذلك مستحسنا في نظر الناس ولكنه اذا دعي الى مقاومـة عادة بربرية او تأييـد حق قلّ ناصروه ورأى أن من وراء ذلك الاستهداف للسُّخرية والزراية عليه نكص على عقبيه نكص الجبان وفر فرار الرعديد

مثل هؤلاء المخلوقين المجردين عن ذواتهم يجدون طريق عيشتهم ذلولا ويأتيهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رزقهم بلا نصب ولكن ما اكثر مايسومون أنفسهم من الخسف وما احط مايسفلون بها اليه من دركات الذل . عرفت امرأة بَرْزَةً (١) محبوبة حسنة المحاضرة وكانت ارملة ولها ولد كان قبلة آمالها فبدالها يوما من الايام ان تنشئه على أحسن آداب المواضعة المعروفة فرأت ان الاستشهاد باقوال الكتاب اللاتينيين في المقامات المناسبة من المحاورة والتمثل باشعارهم وايراد أمثالهم من الامور التي لا بأس بها بل انه يكسو المحاور اذا كان حسناً بُرْداً من الخطر ويلقي عليه مسحة من جلال القدر فارسلت ولدها الى المدرسة فغادرها كيوم كدخلها خفيف العقل لم يستفد من العلم الا قشورا محبوبة عند الناس ولكونه أوتي ذاكرة مباركة كان يتكلم في كل موضوع ويناقش في كل شيء ولا يبدي رأيا الا قوبل بالاستحسان لانه يسهل على كل انسان أن يرضي الناس عنه اذا سلم لهم مايقولون ولم يعارضهم في شيء من آرائهم فكان تُرثاراً عديم الخلق حسن الصورة عقيم الفكر أرادت والدته أن تصيره رجلا من الاكياس أو نابهاً لأحد الحكام او معتمداً سياسياً لحكومته في بعض البلدان وان أحببت أن تعرف ماذا صيرته قلت انها صيرته طفيلياً .

ان طريقتنا في التربية تظهر بادي الرأي سخيفة مضحكة وان جاز أن تكون مما يتعاصى على الافهام ادراكه وربما لا تطابق أي طريقة غيرها مطابقتها لمقاصد حكامنا ونظامنا السياسي

التلامذة في مدارسنا مقترعون مدنيون تبكر الحكومة بتأهيلهم لوظيفتهم على نظام معنوي يشف عن حذق واضعه فأنت ترى القائمين على تربيتهم يوزعون عليهم متاعا من الآراء والعلوم التي يجب عليهم تقلدها في مستقبلهم مراعين في ذلك الدقة العسكرية التي تراعى في توزيع متاع الجند وينادونهم: «الهوينا» أيها الاحداث واياكم ان تحيدوا عن الحطة المضروبة لكم . نعم ان منهم من يولونهم أدبارهم ولا يصغون الى ندائهم وان كثيراً من هؤلاء يحيزون الى فئة الآخذين بحرية النظر ويتضاعف عددهم كل يوم واكن لشدة مايلاقون على ذلك من العقاب يحرمون من تقلد الوظائف العلمية في المدارس الجامعة ومن القيام بالوظائف الادارية في الحكومة فلا يولّى أحدهم شيئاً منها وفوق ذلك تراهم ان لم يسيروا سيرة مرضية وقد أخذت الحكومة على نفسها تعليمهم كيف يسيرون بما تتابعه لهم من ضروب الايذاء وما تبلوهم به من العقوبات والنكبات

(١) البرزة المرأة الجليلة التي تظهر للناس ويختلف اليها القوم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السياسية ولا جرم فانهم في قبضة حاكم ماهر والذنب عليهم في انهم لم يعرفوا من قبل ان لهم والياً يقوم عليهم واستاذاً يرشدهم

ولما لم يكن هذا هو الفلاح الذي أرجوه « لاميل » وكان الذي يعنيني من أمره قبل كل شيء انما هو حفظ كرامته وشرفه من حيث هو انسان كان نصيب هذه الطريقة مني محض الاعجاب بها دون ان أرضاها لتربيته

﴿ الشذرة الحادية عشرة ﴾

في المؤلفات المفيدة للناشئين واختيارها

أجد في نفسي انبعاثاً كثيراً الى اعتقاد انه لا شيء أضرّ على كتاب الاقدمين وأدعى الى هجر مؤلفاتهم من اطراء المعلمين اياهم واعتيادهم الإعجاب بما كتبوا

ذلك ان هؤلاء بالزامهم الطفل حفظ ما يختارونه له من هذه المؤلفات وارشادهم اياه الى ما يجب عليه ان يراه فيها من ضروب المحاسن خشية ان يقصر في احترام آثار سلفه واكراههم له على ملاحظة جميع ما فيها حتى علامات الفصل والوصل بذلك كله لا يفلحون غالباً الا في ان يكرّهوها اليه وهي أحسن أعمال عقل الانسان

فالإفراط في الوقاية من جانب المعلم يصير سبباً للضعف من جانب المتعلم وافراط ذلك في اعجابه بما يعلمه يذهب بالحمية من نفس هذا فيما يتعلمه

والمقصود من التعليم على أي حال انما هو انشاء القوة الحاكمة في نفس الطفل وأنا في شك من بلوغ هذه الغاية بالجري على تلك الطريقة فانه على فرض وجود التلامذة الذين يكون فيهم من الامتثال ما يكفي لان يروا الحسن فيما يمدح لهم والقبيح فيما يذم (وفي التلامذة من هم كذلك) لاتكون أذواقهم من أجل ذلك أسلم من أذواق غيرهم ولا اكثر منها دربة بل ان هذا مما يدعو الى سلبهم قوة تمييزهم الامور بأنفسهم فتكون همتهم في مستقبلهم مصروفة الى تلقي آراء من تعتبر آراؤهم حجة من الناس لا الى النظر في الامور والحكم عليها حكماً مستقلا

سادع ابني وشأنه في انتقاء كتبه فلا اجتنب الا ما يكون منها ضاراً بالاخلاق لاني اود ان يكون هو صاحب الخيار فيما يفضل في نظره من كتب الآداب فاذا ضل ذوقه في الاختيار عولت في رده الى الصراط السوي على ضروب نمو عقله لا على ما يدعو اليه كدري من انواع التوبيخ والتأنيب ومع كوني لا اضن عليه بالإرشاد متى سألني اياه تجدني اقصد ان يلتمس في ما يطالعه تنمية افكاره وتربية ضروب وجدانه الذاتي

نعم اني قد اشتهى ان اقدم له بعض كتب مخصوصة واغتبط لو انه اتفق معي في التأثر بما فيها غير اني لا اجدني محقاً في اقتضاء ذلك منه لان الاعجاب بالشيء من اجل ان يكون مفيداً لا بد ان يصدر عن نفس المعجب ولان الانسان في كل طور من اطوار حياته منفرداً كان أو مجتمعاً يتصور للحسن كمالا يطابق بالضرورة بعض أحوال تتعلق بنفسه أو بوظائف أعضائه ٠ يدلك على ذلك اننا لا نكاد نعرف الآن ما قرأناه في عهد شبيبتنا من الكتب ولا مؤلفيها ولا نحس بشيء من الميل الى كتب الادب التي طالعناها في ذلك الزمن ٠ لم يبق من الشعراء والكتاب الذين كانوا أساتذتنا فيه بكتبهم من يصحبنا في شيخوختنا الا النزر اليسير ٠

آثار علمية دينية

(الاسلام والنصرانيه ٠ مع العلم والمدنية) لقد أقبل الناس على هذا الكتاب اقبالا لم يعهد في هذه البلاد وأمثالها حتى إننا لنتوقع نفاد نسخة المطبوعة كلها في زمن قريب جداً ٠ وقد قدمنا نسخة منها الى رئيس علماء الدين في مصر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر فتقبلها بأحسن قبول وأظهر لنا غاية الارتياح بطبعه وأثنى بما هو أهله ثم انه لم يرض الا أن كافأنا بما هو أضعاف ثمن الكتاب وألزمنا بقبول المكافأة وحسبنا رضاه عن هذا الأثر أدامه الله نصيراً للاسلام

وقد نشرنا في آخر الكتاب أبياتاً من قصيدة في تقريظه لأحمد أفندي الكاشف وأننا ننشرها أيضاً في المنار وهي

سلاما حجة الإسلام فينا ... ورضواناً رجاء المسلمينا
عُنيت بما كتبت فكان وحيا ... يؤيد وحيَ مُلهِمك المبينا
فلم تترك لمتهم مكانا ... يرى فيه المزاعم والظنونا
فما بطل يخوض الحرب فرداً ... فما يدعو بآخرَ مستعينا
جهاداً في سبيل الله يفدي ... بهجته المواطن أن تهونا
يأبقى منك آثاراً وذكرا ... وقدراً في قلوب العالمينا
وكان يراعك المنصور سيفاً ... وكان كتابك الدّرع الحصينا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملكتَ به معاقل عاليات نبتْ عنها سيوف الفاتحينا
وماضرّ الضلالُ الخلقَ حتى نفضتَهم وأوضحتَ اليقينا
فرفقاً بالمكابر قد كفاه مجادلة وأوشك أن يدينا
ودَعْه في تأمله عساه يجيئك باعتراف المهتدينا

باب التقريظ

رحلة صادق باشا المعظم الي صحراء افريقية الكبرى

الفريق صادق باشا المؤيد المعظم أحد حجاب مولانا السلطان عبد الحميد خان كاتب أديب وقائد شجاع وأمين عند مولاه يبعثه في المهمات السياسية والفنية العملية. فكما عهد اليه بأمر مد الاسلاك البرقية في الحجاز ثم بأمر النظر في سكة حديد الحجاز من الأمور الفنية عهد اليه من قبل بالرحلة الى صحراء أفريقيا واكتناه شؤنها عامة وشؤن السنوسي وجماعته خاصة فقام بذلك وعهد اليه من بعد بالذهاب مع بعثة الى روسيا لمقابلة قيصرها في أمر سياسي. أما سفره الى الصحراء بأمر السلطان فقد كان مرتين وكتب فيما شاهد في المرة الثانية رحلة باللغة التركية أودعها وصف ما رآه واختبره من أحوال المكان والسكان. وقد عرب الرحلة جميل بك المعظم وطبعت في كتاب مستقل بعد طبعها في جريدة « معلومات » ولا شك ان قراء العربية كلهم يحبون الاطلاع على مثل هذه الرحلة الا من لايحب التاريخ ولا يحفل بما يبنى عليه من أحوال السياسة الحاضرة. والرحلة تطلب من ادارة مجلة المنار بمصر

(الإسلام في عصر العلم) كتاب جديد يشتغل بتأليفه وطبعه محمد فريد افندي وجدي. وقد جعله ثلاثة أقسام أحدها في « الإنسان » وثانيها في « المدنيّة » وثالثها في « ماوراء المادّة » ورابعها في « حياة النبي صلى الله عليه وسلم » والغرض من الكتاب تأييد الدين الاسلامي بمباحث العلوم على ما انتهت اليه في هذا العصر

الغرض شريف وحاجة المسلمين اليه شديدة فان المفتونين منهم بمدنية أوربا يخطف أبصارهم كل شيء يرونه من آثارها ويختلب أفئدتهم كل يسمعونه من علومها وعقولهم تتبع أفئدتهم وأبصارهم. فترى الكثيرين منهم في شك من دينهم الذي انتموا اليه ولم يعرفوه حق المعرفة لاعتقادهم أن أولئك الذين تلك المدنية مدينتهم وتلك العلوم علومهم لايعتقدون بصحة الدين. ومنهم الضعيف الواهن الذي يكفي

شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يقاعه في الشك أن تخفى عليه حقية مسألة واحدة مما يعزى الى دينه أو يراها مخالفة لما يقول أولئك الخاطفون لبصره والمختلبون لفؤاده وربما تكون تلك المسألة ليست من الدين بل من التقاليد اللاصقة بأهله أو تكون من الأمور الواردة فيه لا على سبيل القطع أو يكون لها معنى غير ما يفهم أو يكون المخالف للمسألة هو المخطئ ولكن من فتن باعتقاد عظمة إنسان لا يخطر له أنه يخطئ . التقليد يفتك بعقل المقلد حتى يجعله أسيراً لكل من يعتقد عظمته يسلم له بكل شيء تسليما

أمثال هؤلاء يجب أن يعرفوا نسبة هذه العلوم وهذه المدنية الى الإسلام وما يؤيده منها ومن علومها . ولن يجدوا حاجتهم هذه على طرف الثمام الا اذا انصرفت همة الباحثين للتأليف فيها وهذا ما توخاه صديقنا محمد فريد وجدي في كتابه هذا فنسأل الله تعالى ان يوفقه لاكماله ويسهل له سبيل كماله ويوفق اخواننا المسلمين لمساعدته على عمله بالاقبال عليه . وقد اختار هو أن يصدر الكتاب لمن يشترك فيه منجماً تنجيماً في كل شهر ٦٤ صفحة من القطع الصغير اللطيف . وقيمة الاشتراك في السنة ٣٠ قرشاً صحيحاً تدفع سلفاً أو على ثلاثة نجوم . وهو يطلب من مؤلفه بالسويس

﴿قاموس المانى عربي﴾

ان الحاجة التي تسوق الامم الى الاقتراب من الامة الالمانية ودراسة لغتها أصبحت متأكدة وتزداد من يوم الى آخر ذلك بانها من حرب السبعين الى اليوم وصلت في علومها وصنائعها وتجارتها وسائر ضروب المدنية الى درجة أبهتت العالم فأخذت الامم لها المحل الاول وصار الكثيرون من المتكلمين يدرسون لغتها ويرحلون اليها في طلب الكمال وقد أخذ عدد من الشرقيين ليس بالقليل في دراسة هذه اللغة يبتغون ان يصيبوا من هذا ما يصيبه غيرهم وسينمو هذا العدد من غير شك تبعاً لامتداد العلائق بين البلاد الالمانية وبلادهم وازدياد المستكملين وطلاب الحقائق في هذه البلاد . هذا قول حق نلفت به القراء منهم الى قاموس المانى عربي ظهر في هذا العهد . الف هذا الكتاب العالم الفاضل اللغوي المؤرخ الدكتور ارنست هردر المحرر باحدى الجرائد الشهيرة التي تصدر ببرلين « بَحْلشْ رُنْدْ شَوْ » والقاموس المذكور مشتمل على ثلاث وثمانمائة صفحة جمعت نحو ثمانية عشر الف كلمة مراعى في جمعها حاجة المتكلم والقارئ في الكتب الادبية سواء كانت جرمانية الاصل أو دخيلة شائعة في اللغة . ان هذا الدكتور — وقد عاشرته زمناً طويلا — يصلح

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ان يضع للكلمة الالمانية أخرى عربية بازائها اذا لم يكن المعنى واحداً بل يعمد اذا لم يصب الكلمة المطلوبة الى التعبير عن المعنى في جملة يصيب بها الغرض قدرما يمكن • ساعده على أداء هذه المهمة التي يعمل لها منذ عهد بعيد معرفته باللغة المصرية الدارجة والفصحى وقد وضع فيها أجرومية باللغة الالمانية طبعت سنة ١٨٩٨ بمطبعة «هيدلبرج» وصادفت اقبالا طيباً • قد يضع المؤلف لغرض ما إزاء الكلمة الالمانية أخرى من اللغة الدارجة مع التنبيه على ذلك • لم يوجد من قبل قاموس المانى عربي الا واحد لحضرة البروفسور فارمولد النمساوي الا انه غير واف بالغرض ومن هذا ان كلماته لا تزيد على الثلث من الفاظ الكتاب الجديد • ان هذه الخدمة الجليلة التي قام بها هذا المؤلف هي في منفعة الناطقين باللغة العربية اكبر منها في صالح قومه ولهذا نشكر له هذا العمل ونسأل له دوام التوفيق للعمل على الصالح العام

ومن أراد ان يكاتب حضرة المؤلف في أمر يخص كتابه أو نحو هذا فليتفضل بالاستفهام عن طريقة ذلك من حضرة السيد الفاضل صاحب هذه المجلة (أحد القراء)

(مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لمؤلفه المؤرخ المنصف جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص بتراجم الملوك والامراء والقواد ورجال الادارة والسياسة ولم نتمكن من مطالعة شيء منه ولكننا نعلم ان طريقته فيه هي طريقته في الهلال بل هو قبسة من نور الهلال • وصفحاته ٢٦٤ وفيه ٧٢ رسما وثمنه ١٥ قرشاً صحيحاً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(الحال بين العامة) • رسالة دينية أدبية تهذيبية اجتماعية • ألفها عبد العزيز أفندي فهمي الجورجستاني وقال في مقدمتها ان أكبر داع دعاه الى تأليفها هو انه سمع من الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية كلمة قالها للناس بعد صلاة الجمعة في بلده (محلة نصر) وهي: يكاد قلبي يقطر دما عند ما أرى بدعة أسندها مبتدعها الى الدين: وتلا الاستاذ قوله تعالى • ان الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً • الآية • أما فصول الرسالة فهي (١) الصدق والامانة وضدهما • و(٢) الاقتصاد وبعض ماورد في مدحه وذم ضده و(٣) الاصلاح والمعاونة • و(٤) حسن المعاملة وطاعة أولى الامر • و(٥) النميمة والغيبة والحسد • و(٦) نشر المعارف وفضل العلم • و(٧) العمل وترك الكسل و(٨) المبتدعون في الدين • و(٩) المفاسد في الموالد و(١٠) الطريق • وختم الرسالة في انتقاد الوعاظ • ولا شك ان مطالعة العامة لهذه الرسالة نافعة لأنها تنفر عن المنكر وتحث على المعروف والخير • ولكن اسمها لا يطابق مسماها الا في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كلمات من الفصول الاخيرة لأن سائر الفصول لاتشرح من أحوال العامة مايبغي شرحه فعسى ان يوفق المؤلف الى كتابة مايعرفه من المنكرات الفاشية بين العامة بالتفصيل . ولم يعتن بتصحيح الرسالة كما يجب وذلك لايمنع من الانتفاع بها

(النخبة) ديوان شعر جديد لناظمه رشيد أفندي بن حنا مصوبع اللبناني وقد عرفنا الناظم شابا متوقد الذكاء ومن أحسن شعره قصيدة يصف بها سوق احسان أقامها سرب من العذارى الاسرائيليات في فندق (كونتيننتال) بمصر قال فيها

حيّ في مصر أربع الغادات ... ومغاني الحسان والحسنات
أربعٌ قد حوين كل صنيع ... من جميل وأوجه سافرات
يتجارى الفتيان فيه الى البذ ... ل باغراء أعين الفتيات
آنساتٌ صيّرن من كان في القو ... م بخيلا يجود بالمكرمات
يستبيه لحظ الحسان فلا يأ ... بث ان يبذل اللهى والهبات
كل خود للسحر في مقلتيها ... عُقَدٌ قد خَلَطْنَ بالنَّفثات
أخذت للفقير منا زكاة ... قابلتها من حسنها بزكاة
وغدا الزهر غالي السعر اذ قد ... كان يعطى من تلكم الراحات
ينثر الورد حولنا من يديها ... فنخال الخدود منتثرات
وتعير النسيم من صدرها أذ ... فاس طيب نردّها زفرات

الى ان قال

سوق حسن للعاشقين وسوق ... من جميل للبائسين العفاة
أنشأتها أيدي الكواعب من ... ن وياحسنهن من منشئات
ما كفتنا محاسن العين حتى ... ماكتنا الحسان بالهبّات
هكذا يجمل الجمال الفعال لا ... خير لا للخلاب والمنكرات
هكذا تشفق الحسان وتغدو ... للذي رام قربها قاسيات
هكذا يكرم المتيّم بالوصْ ... ل ولكن يُحمَى عن الوجنات
هكذا يعرض الجمال محلّى ... بجميل الأفعال والغايات

هذا ما أردنا نشره من هذه القصيدة الرشيقة لتكون أحسن مثال للديوان . طبع الشاعر ديوانه هذا وأهداه الي نقولا بك توما المحامي لمشاهد من حبه للأدب وأهله

(حديث ليلة) قصة فكاهية تهامية تأليف القصصي الفرنسي الشهير اسكندر دياس الكبير . وقد عربها الشيخ نجيب الحداد الذي كان أحسن كتاب هذا الوقت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعريباً للقصص وطبعت في مطبعة المعارف التي هي في مقدمة المطابع المصرية اتقاناً للطبع فاجتمعت في هذه القصة محاسن التأليف والتعريب والطبع ولذلك يرجى لها الانتشار بالطبع

(المجلة المدرسية) مجلة علمية أدبية مصورة تصدر في كل شهر شمسي مرة مديرها ومحررها سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية الأهلية وقد صدر الجزء الاول منها في أول يناير سنة ١٩٠٣ في ١٦ صفحة وهو مصدر برسم سمو الخديو المعظم وفيه نبذة من تاريخ سموه ونبذة بعدها في الكلام على الأسد كأن المراد بوضعه بعده مراعاة النظير ، وتشبيه الاسد بالأمير ، في القسم الادبي منه مقالة في (اللغة) وفي ختامه خطب وجيزة لتلامذة المدرسة التحضيرية

نحن نعرف من سيد افندي محمد شابا غيوراً على الأمة والملة مجتهداً في تهذيب تلامذة مدرسته وقد أنشأ لهم جمعية في المدرسة يتمرنون فيها على الخطابة والبحث بالقول ثم أنشأ لهم هذه المجلة ليتمرنوا بها على البحث بالكتابة والقراءة فنرجو له النجاح ونحث تلامذة سائر المدارس على قراءة مجلته ومساهمة اخوانهم في مباحثها ولعله لا يعدم من محبي العلم والادب في غير المدارس تنشيطاً واسعاداً . وقيمة الاشتراك في المجلة المدرسية ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة

(العالم الصناعي) مجلة علمية صناعية تاريخية تصدر في كل شهر مرة لمنشئها عبد الرحيم أفندي فوزي وحسن فهمي أفندي احد المتخرجين في مدرسة الفنون والصنائع الخديوية . صدر الجزء الاول منها في هذا الشهر في ١٦ صفحة مطبوعا طبعاً جميلا بمطبعة النشب على ورق جيد . وهي مفتتحة بمقالة في تاريخ الصناعة وتأثيرها (في) العمران) وتتلوها مقالة في سيرة مخترع القلم الامريكاني مصدرة برسمه وفيها نبذ أخرى في النتائج الصناعية . وقد كتب على غلاف المجلة أن مراسلاتها تكون بعنوان (الشركة الصناعية بمصر والسودان بشارع محمد على) فاذا كان هنالك شركة تصدر المجلة فان النجاح يرجى لها بقدر رسوخ تلك الشركة وثباتها والا فلا بد من تنويع مباحثها ليقبل عليها صنوف القراء لأن البلاد لم ترتق الى حد يكون فيها لكل نوع من أنواع الفنون والعلوم جريدة أو مجلة خاصة . وقيمة الاشتراك في هذه المجلة عشرون قرشاً فعسى أن تصادف إقبالا ورواجاً لتحبب الصناعة الى أهل هذه البلاد الذين هم في أشد الحاجة اليها .

(النبات) جريدة أسبوعية علمية أدبية تهذيبية بشكل الجريدة الرسمية تصدر كل ١٥ يوما الآن وقد صدر العدد الأول منها منذ أيام وفيه مقالات في (شبان الغرب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وشبان الشرق) ونبذة في محاسن الاخلاق وأخرى في أشهر ملوك العالم . أما صاحبها فقد كتب اسمه عليها هكذا (ا . عبد الحميد) ولكنه أرسل الينا مع العدد الأول رقيما علمنا منه أن الالف اشارة الى (ابراهيم) فانتقدنا ذلك منه ولعله يصرح باسمه فى الأعداد الآتية . وأما قيمة الاشتراك فيها فهي ١٥ قرشاً صحيحاً فى السنة . فتهنى له التوفيق ولجريدته الانتشار

﴿ إعجاز أحمدي — أو سخافة جديدة لمسيح الهند ﴾

كل يوم تبتدي صروف الليالي خلقاً من أبي سعيد غريبا

وأبو سعيد هذا الزمان هو غلام أحمد القادياني المفتون بنفسه ، المغلوب على عقله وحسه ؛ فهو كل يوم يأتينا بخلق غريب ، وخَلْقٍ من إفكه عجيب ، ففي الشهر الماضي أرسل الينا قصيدة من المخزيات ، ولكنه نظمها فى سلك ما يدّعيه من المعجزات ، وجعل لها مقدمة هذيانية . ولكنها باللغة الاوردية . وأرسل لنا معها منشوراً باللغة الانكليزية ، يقول فيه انه أوتي من البلاغة فى العربية ما لم يؤته أحد من العالمين ، وانه يتحدى بقصيدته هذه جميع المطامين ، ومن يعارضها في الهند من شعراء العربية ، يُعطى عشرة آلاف روبية ، ولم يذكر لنا الحاكم الناقد ، الذي تعرض عليه القصائد ، ليميز بين سحر البيان ، وبين اللغو والهذيان ، وقد أخرنا الكتابة في هذه السخافة الجديدة لاننا كنا عازمين على قراءتها كلها وإظهار ما فيها من الأغلاط اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية والتنبيه على ما فيها من السرقات الشعرية ، التي سلخها من كلام فحول الرجال ، ومسخها ولا غرو أن يظهر المسخ على يد المسيخ الدجال ، ثم بدا لنا ان هذه الانتقادات ليست بضرورية ، عند العارفين باللغة العربية ، فان عرض القصيدة عليهم يكفي لمعرفة دركها فى السخافة . وأما المخدوعون به من الأعجمين فى الهند فلا يفهمون انتقادنا اذا هو وصل اليهم لذلك نذكر هنا أبياتاً من القصيدة ونترك للقراء الضحك منها ومن غرور المستدل بها على دعوى المسيحية قال

أيا أرض مُدّ قد دفاك مدمّر وأرداك ضلّيل وأغراك موغر
دعوتِ كذوباً مفسداً صيدي الذي كحوت غدير أخذه لا يعزّر
وجاءك صحبي ناصحين كأخوة يقولون لا تبغوا هوًى وتصبّروا
فظل أساري كم اساري تعصب تريدون من يعوي كذئب ويختر
فجاؤا بذئب بعد جهد أذابهم ونعني ثناء الله منه ونظهر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فلما أتاهم سرهم من تصلف وقال افرحوا اني كمي مظفر
وقال استروا أمري واني أرودهم أخاف عليهم أن يفروا ويدبروا
وارضي الثام اذا دنا من أرضهم على النار مشاهم وقد كان يبطر

ومنها في هجو منكر عليه

فلما اعتدى وأحس قومي أنه يصرّ على تكذيبه لا يقصر
دعوه ليتهان لموت مزوّر مضل فلم يسكت ولم يتحسر
وكذب إعجاز المسيح وآيه وغاطه كذباً وكان يزور

ثم قال هذه الأبيات التي كتب بإزائها في الهامش انها وحي من الله تعالى

فقد سرني في هذه الصور صورة ليدفع ربي كلما كان يحشر
فألفت هذا النظم أعني قصيدتي ليخزي ربي كل من كان يهذر
وهذا على اصراره في سؤاله فكيف بهذا السُّئل أغضى وأنهر
وليس علينا في الجواب جريمة فنهدي له كالأكل ما كان يبذر
فان الك كذاباً فيأتي بمثلها وان الك من ربي فيغشى ويثبر
وهذا قضاء الله بيني وبينهم ليظهر آيته وما كان يخبر
قطعنا بهذا دابر القوم كلهم وغادرهم ربي كعصف تجذر
ارى ارض مُدّقد اريد تبارها وغادرهم ربي كعصف تجذر
أيا محسني بالخلق والجهل والرُّغا رويدك لا تبطل صنيعك واحذر
اتشتم بعد العون والمن والندى اتنسى ندى مدّ وما كنت تنصر
ترى كيف أغبرت السماء بآيها اذا القوم آذوني وعابوا وغيّروا
فلا تخبر سبل غيّ وشقوة ولا تجان بعد النوال وفكر

﴿ سخافة أخرى لمسيخ الهند الدجال ﴾

قلنا انه أرسل الينا في الشهر الماضي قصيدته الإعجازية ونقول أيضاً انه أرسل الينا في هذا الشهر رسالة باللغة الانكليزية كتبها باسم ملك الانكليز لا باسم الله وجعلها خدمة للدولة الانكليزية في زعمه ووهمه ولكن لم يكتب في الحقيقة ما هو أضر منها على السياسة الانكليزية. وهذا شأن الصديق الاحمق يريد أن ينفع فيضر

من سياسة هذا المسيخ الدجال انه نسخ حكم الجهاد في الاسلام لكيلا تعارضه الدولة الانكليزية في دعوته ظناً منها انه يؤلف عصبية دينية للخروج عليها في الهند كما

www.alukah.net شبكة الألوكة

يفعل أمثاله الدجالون الذين يدعي كل خارج منهم انه المهدي المنتظر . وقد كتب في هذا المعنى كثيراً . وانما كانت كتابته في هذه الرسالة وأمثالها ضارّة ومناقضة للسياسة الانكليزية لأنه يقول فيها ان جميع علماء المسلمين يقولون بوجوب الجهاد الديني وانهم جهلاء مخطئون في هذه الدعوى . فاذا انتشرت هذه الرسالة وقرأها الناس فربما تحرك نفوسهم الى الأمر الذي تصرح الرسالة بان العلماء مجمعون عليه ولا تلتفت الى تخطئة خارجي مثل غلام أحمد القادياني لهم .

وأما الرأي الأفين الذي أشار به على الحكومة الانكليزية وهو جمع مؤتمر من العلماء للنظر في مسألة الجهاد واستقراء أدلتها في الكتاب والسنة ليظهر لهم انه غير واجب فيقرروه — فهو رأي لا ترضى به سياسة حكيمة كالسياسة الانكليزية ولا هي محتاجة اليه . أما عدم رضاها به فلأنه اذا قرر العلماء خلاف مايقول غلام أحمد الدجال فيخشى من وقوع فتنة عظيمة . وأما عدم حاجتها اليه فلأن أهل الهند راضون من حكومتهم ولا يخطر في بالهم الخروج عليها وحسبها هذا منهم . ولو كان هذا الدجال يجتنب هذه الأوحال ، لكان أسلم له على كل حال .

باب الأخبار والآراء

﴿ الحج في هذا العام ﴾

أمرت حكومة تونس وحكومة الجزائر الفرنسية بمنع الحج في هذا العام لئلا يحمل الحجاج من بلاد الحجاز جراثيم الوباء الموهوم الى بلادهم فتبتأس بهم وأرادت حكومة مصر أن لا يحج في هذا العام الا الأغنياء القادرون على الاحتياطات الصحية اذا نزل البلاء ووقع الوباء واحتيج الى النفقة الواسعة فأمرت بالزام كل من يريد الحج بدفع خمسين أو سبعين جنيهاً للحكومة تكون أمانة عندها تنفق عليه منها ما تنفقه بقدر الحاجة وترد اليه مايبقى بعد عودته اذا عاد وبقي من المال بقية

ضمنت الحكومة للحجاج بازاء ذلك القيام بجميع شؤنهم في السفر . وقد استكثر الناس هذا القدر من المال واعتقد الأكثرون أن الغرض منه التنفير عن الحج والتمهيد لمنعه ولذلك طلب مجلس الشورى من الحكومة أن تنقص منه فلم تقبل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والناس في استياء عظيم من جراء ذلك وقد كتبوا من جهات متعددة يشكون للحكومة بل لمستشاريها ومديريها من الانكليز ثقل ذلك المال المفروض وأكثر الشكوى كانت لمستشار نظارة الداخلية ولكنها لم تغن شيئاً . على ان الوقت لم يفت واللورد كرومر صاحب القفص والابرام في السودان

ولقد كان في هذا العمل فرصة للانكليز يمكنون بها ميل المصريين عامة اليهم لو اغتنموها وخففوا من المال المفروض شيئاً . ولعل الذي يمنعهم من تلبية الأهالي وسماع شكاويهم هو لفظ أحداث السياسة بالمسألة ونشر تلك الشكاوي في بعض الجرائد المتطرفة على ما فيها من الطعن بالحكومة الاسلامية التي فرضت ذلك المال بالاتفاق . فكأن مستشار الداخلية خجل من أن يطلب من هذه الحكومة الرجوع عن شيء قررته وكان هو راضياً به لأن الامة التجأت اليه وحده دون الأمير ودون نظار حكومته بل مع التعريض بذمهم والطعن بدينهم .

ولو أراد المصلحة من أشرنا اليه من أحداث السياسة لما نشر في جريدته كلمة من شكاوي الأهالي الجارحة لثلاثة أمور (أحدها) ان نشرها يثبت ان قلوب الاهالي انحرفت عن الحكومة الخديوية الاسلامية ولم يبق لها رجاء تتيممه في مصلحة من مصالح دينها ودنياها الا المحتلون (ثانيها) ان نشرها يكون صادًّا للمحتلين عن إغاثة الناس لعلمهم بأن ذلك يتضمن إهانة الحكومة على لسان من يفتخر دائماً بالطعن في الحكومة وفي المحتلين بسبب وبدون سبب ويرمي الجميع بسوء القصد . فلا يرضى المحتلون أن يغيثوا الأهالي ليفتخر ذلك الحدث الصغير . بأنه كان الحامل لهم على ذلك بما لجريدته من قوة التأثير . (ثالثها) ان نشرها في الجرائد ينتهي بإقرار من نشرها وتسجيله كون المحتلين هم الغوث الوحيد للمسلمين والقائمون بمصالحهم الدينية والدنيوية دون حكومة الامير الاسلامية — هذا لو أشكوا الأهالي وأجابوا طلبهم وعند ذلك لا يبقى للاحداث سبيل الى الطعن فيهم وهو بضاعتهم التي يعيشون منها .

ولذلك تعجب الناس من نشر تلك الشكاوي المفصحة عن تمالق قلوب مسلمي مصر بالانكليز من جريدة الاحداث التي تتّجر بذمهم . قالوا : اذا كانت الجريدة لا ترجو نفع تلك الشكاوي فهي ساعية في هدم سياستها الأولى وهي لا يمكن أن تحج بغيرها وان كانت لا ترجو نفعها وإنما تنشر صور تلك الشكاوي لعلمها بأن نشرها يغيظ المحتلين ويحملهم من الحكومة على الاصرار فهي لا تقصد نفع المسلمين ولا تسعى في تسهيل الحج عليهم . وأصحاب الرأي يعلمون أن تلك الجريدة لا يهمها كثرة الحجاج

www.alukah.net شبكة الألوكة

أو قالوا وانما سبب الصياح والعويل شيء واحد وهو جذب قلوب الأهالي الى الجريدة وايهامهم انها أشد غيرة عليهم وعلى دينهم من غيرها وهذا مقصد يتلاشى أمامه التفكر في نتيجة النشر هل تكون تسجيل مدح الانكليز والطعن بحكومة الامير أو تكون الإصرار على تنفيذ ما أمرت به الحكومة . والذي لا ريب فيه ان نشر تلك الشكاوي الجارحة كلها كان ضارًّا وما كان يتصوَّر له وجه منفعة قط

أما نحن الذين لا يهمنا الا تسهيل سبيل الحج لأنه عبادة لله تعالى — ونحن دعاة دين لا دعاة سياسة — فلم ينقطع أملنا من سمو الأمير ومن حكومته لاننا نعلم انهم لم يأمروا بما أمروا به ليصدُّوا الناس عن سبيل الله . كيف وحكومة مصر لا تقاس بحكومة اسلامية أخرى كحكومة تونس مثلا لان أكبر شرف لها عند المسلمين أنها تسيّر ركبا مخصوصا للحج وتقدم كسوة الكعبة فهي مساهمة للدولة العلية في خدمة الحرمين الشريفين وهي جارة البلاد المقدسة . فحكومة عزيز مصر لا يسهل عليها أن يخدش هذا الشرف ولا أن ينتقص . ولكنها أمرت بما أمرت به لتمنع الفقراء عن الحج خوفاً عليهم وعلى البلاد في هذا العام فاذا لاحظت الآن أن الأغنياء قلما يحجون لانهم مشتغلون بتجنبهم وهم أحرص الناس على حياة وان الخير في جميع الأمم انما يكون غالباً في الطبقة المتوسطة وأن أهل هذه الطبقة هم أقرب الى الصحة من الاغنياء لقلة الاسراف وقلة الوهم والوسواس ولكن يثقل على الاكثرين منهم أن يعطي أحدهم الحكومة خمسين جنيهاً أو سبعين غير ما يأخذه معه وما يتركه لاهله وعياله من النفقة — واذا لاحظت مع هذا أيضاً أن الأمة كلها مستاءة من ثقل هذه الفريضة وتشكو منها وتطالب تخفيفها وكل الحكومات العادلة والدستورية تحترم الرأي العام — فلا غرو أن يأمر مولانا الأمير أعزه الله باجتماع مجلس النظار ثم يصدرون أمراً آخر بتخفيف ما فرض أوّلا الى نصفه مثلا . والنسخ معهود في الشرائع السماوية وفي القوانين الوضعية بالأولى . يجب أن يكون الامير وحكومته محل الرجاء وغاية ما نرجو من حرية المحتجين أن لا يعارضوا في مثل هذا الامر الديني وما كانوا معارضين

اذا كان غرض الحكومة أن يكون ركب الحج في هذا العام مؤلفا من أهل اليسار فما كان أجدر الموسرين بالانتظام في هذا السلك الدري الذي لا خرز بين درره ولآلئه ونخص بالذكر المترفين الذين يؤخرون الحج لما يكون فيه من الزحام وقلة العناية بالنظافة لصعوبتها مع كثرة السواد من الفقراء . ولو هزّت الاريحية الاسلامية بعض النظار الى الحج لكان فيمن يحج منهم هذا العام أسوة حسنة لكثير من الاغنياء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكان أجره بذلك عند الله مضاعفاً ومقامه في نفوس المصريين رفيعاً مشرفاً .

واذا لم يبادر عدد كبير من الاغنياء الى الحج لإحياء شعائره وحفظ شرف مصر الديني فلا سلام على الاغنياء . ولا زادهم الغنى الا تعاسة وشقاء .

﴿ الجامعة الدينية . والجامعة الوطنية ﴾

بينا رأينا في الجامعتين مرات كثيرة وأحسن ما كتبناه في ذلك وأوضحه مقالة مسهبة في المجلد الثاني من المنار عنوانها « الجنسية والدين الاسلامي » اثبتنا فيها بالبرهان المعقول ان تمسك المسلمين بدينهم واعتصامهم بعروة جامعته هو المؤلف الوحيد بين مصالحهم ومصالح من يساكنهم في بلادهم والحامل لهم على مواددة من ليس على دينهم ففيه معنى الوطنية التي يطلبها بعض عقلاء المسيحيين في الشرق لعلمهم بأن سعادته في تأليف بين شعوبه المتفرقين في الدين تفرقاً كثيراً . ومن هؤلاء العقلاء بعض أصحاب الجرائد السورية المسيحية في سوريا ومصر وأمريكا . ومما نعتقد فيه الاخلاص من هذه الجرائد (المناظر) ويعرف أصدقاؤنا في مصر اننا كثيراً ما فضلناها على غيرها من الجرائد العربية ونوهنا بموضوعاتها النافعة

ومن الناس المشتغلين بالصحافة من يلغط بالوطن والوطنية بغير علم ولا هدى منهم الذي يلقب في المنار بجدث السياسة فانه خلق وطنية لا يعرفها أحد سواها « الوطنية الحقة » ومعناها ان يبغض المصري المسلم كل من ليس مصريا لانه ليس وطنيا وان كان كالمصري في لغته ودينه وجنسيته السياسية وهي (العثمانية) وأن لا يحب القبطي المصري لانه ليس مسلماً . فهذه الوطنية الباطلة التي لا يتصور فيها العاقل الا الضرة هي التي عمل سلفها في المنار هلاكنا المعروف فيه واننا نرى جميع الكتاب من المسلمين والمسيحيين يوافقوننا على محاربة هذا الهذيان الضار

وقد اتفق لبعض الكاتبين السوريين في البرازيل ان كتب في (المناظر) كتابة في الدعوة الى الوطنية ونبذ التعصبات الدينية ثم اتفق له ان رأى في المنار كلمة في « حدث السياسة » ووطنيته فظن انه المعني وطفق يرد علينا ملقبا ايانا بكهل السياسة وعساه يطالع على هذه النبذة فيرى أنه ليس المعني بالحدث واننا لسنا من السياسة في شيء وانا ان كنا ندعو المسلمين الى النهوض بأمر الاسلام فانما ندعوهم الى العلم والتعليم والتربية التي تقتضيها حالة العصر لا الى السياسة وأحزابها وعصبياتها وملوكها وامرائها . نرى المسلم في أمريكا واوربا والهند واليابان وجاوه ومصر وتونس والجزائر وفي سائر الاقطار متأخراً

شبكة الألوكة www.alukah.net

في العلم والعمل والسبق الى كل خير وزعم ان انتقاده تأثيراً في هذا التأخر وهو يتوهم ان ذلك من الدين ونحن نعلم ان الدين ضده فنحن ندعوه باسم الاسلام الحقيقي الى ان الوصول مع العلم والحضارة في سائر مجاوريه في سبل الحياة . ولا يمكن ان ندعوه هذه الدعوة باسم الوطنية لأن مجلتنا ليست سياسية ولا تجارية ولا زراعية لتحث اهل الوطن او احد على الاتفاق في ترقية هذه الامور باسم الوطن . على اننا لا نقصر في الدعوة الى التأليف بل هو امر عرفنا به ولا نعرف كاتباً عربياً كتب فيه ما كتبنا .

﴿ التعصب الديني والجرائد والمجلات ﴾

التدين بمعنى الاعتصام به والاستمساك بعروته فضيلة هي أم الفضائل والتعصب بمعنى ايذاء المتدين لمخالفه في دينه رذيلة تولد منها مصائب كثيرة لاسيما اذا أنشئت لهذا التعصب جرائد ومجلات تدعو اليه وتحركه . والتعصب بالمعنى الأولى قوي عند المسلمين لا يساويهم فيه أحد حتى في هذا الطور الذي هم فيه الآن طور الضعف . والتعصب بالمعنى الثاني لا يعلم منه أهل ملة ولكنه عند المسلمين أقل منه عند غيرهم لا سيما النصارى

أنظر ان المسلمين أكثر من تسعة أعشار أهل القطر المصري ولكنه ليس لهم جريدة دينية ولا مجلة مالية الا المنار وهو حديث العهد فيهم . والنصارى لهم فيه عدة جرائد ومجلات دينية على قلة عددهم . واقرأ هذه الجرائد والمجلات تجدها تنزى بدعوة المسلمين الى النصرانية والطعن بالاسلام ولا ترى في المنار الاسلامي دعوة الا الى ترك مذهب للدخول في الاسلام وقد مرّت عليه ثلاث سنوات من أول نشأته وهو معرض عن الرد على المعترضين والقادحين في الاسلام على كونهم يرسلون اليه كتبهم وجرائدهم لأننا لم نكن نرى المسلمين مبالين بها فأحببنا بقاء ذلك الكون بالسكوت عنهم . ولكننا لما رأينا سوء تأثير بعض الكتب والمجلات فتحنا في المنار باب الرد شبهات المسيحيين . التزمنا فيه الأدب والحجة وما كنا معتدين .

أليس عجيباً ان تسعة ملايين من المسلمين في مصر ومئات من الملايين في غيرها لا تعرف لهم الا مجلة دينية واحدة ويوجد في كل قطر من أقطارهم جرائد ومجلات كثيرة لأولئك الشراذم الذين يساكنونهم وهم أقل منهم عدداً ومالاً وتمسكاً بالدين؟ نعم ان هذا عجيب وأعجب منه ان جرائد الشراذم الصغيرة تعتدي على تلك الملايين الكثيرة وتطعن بدينهم وتدعوهم الى تركه واتباع دينها . وان تعجب فهناك ما هو

www.alukah.net إلى شبكة الألوكة

أعجب من الأمرين وهو ان المسلمين يشتركون بتلك الجرائد ويعضدونها باقبالهم عليها وهم يعلمون ان النصارى لايكادون يشتركون بجريدة صاحبها مسلم ان لم تكن دينية الا لغرض شخصي ونحوه وأما المجلة الدينية الاسلامية الوحيدة وهي (المنار) فليس لها من المشتركين المسيحيين الاثنان من القبط (وكان لهم ثالث اشترك ثلاث سنين ولم يدفع شيئاً من قيمة الاشتراك فرمج اسمه) وخمسة من السوريين، وفي ذلك عبرة للمعتبرين.

ومن العبر التي هي احدى الكبر، ما جاءت به «الجامعة» في الأيام الأخر، وهو أنها تصدت للطعن في الاسلام، وفي ائمته الأعلام، من طريقة خدمة العلم دون الدين، ودعوى ارادة النصيحة للمسلمين، وهي تجد مع هذا من يشترك فيها منهم بل يزعم صاحبها أنه كان بين انياب الفقر، ومخالب الضنك والعسر، الى أن تحرش بالمسائل الاسلامية، وناطح بقرنه أعلام الملة الحنيفية، فأقبل عليه المسلمون، وهم من كل حدب ينسلون، وما زالت تتوالى عليه منهم «الاشتراكات»، حتى زال عنه بما لهم «الضنك والعسرات»، والعبرة في هذا على تقدير صدقه ظاهرة. وأما العبرة على تقدير تمويهه وتعظيمه لشأن نفسه وبراعته في الاعلان عن جامعته فهي ان المسلمين في اعتقاد هذا الرجل قد بلغوا من الجهل والحماقة مبلغاً يستزلهم فيه بمثل هذا الكلام الى مكافئته على الطعن بدين الاسلام.

وأكبر من هذا وأعجب مما سبقه كله أن من جرائد المسلمين في مصر وسوريا من قرظ كتابه الذي لفقه في الطعن بالاسلام وائمته ووجه أنظار المسلمين اليه، وحثهم عليه، أليس من الألغاز والمعميات التي يصعب حلها على الأكثرين ان جريدة بهذه التية إسلامية تقرظ كتاباً يطعن في الاسلام ويحرف كلام أئمته ليقنع المسلمين بما يقول ويزعم ان الجمع بين الرياسة الدينية والمدنية في خليفة المسلمين قاض بهدم الاسلام وتأخر أهله عن جميع الأمم ويصرح بأنه يجب على المسلمين ازالة هذا المعنى في الخلافة وجعل السلطان رئيساً مدنياً كملوك أوربا — الى آخر ما أشرنا اليه في باب الشبهات وسنوضحه بمقالة مخصوصة؟ بلى ان هذا من عجيب (غرارة) المسلمين المشروحة في الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى المنشور في هذا الجزء أو من عجائب تساهلهم

مع هذا كله يقولون اننا متعصبون وانهم متساهلون. كأنه يتعذر علينا ان نرضيهم ونحن مسلمون .. «ولن ترضى عنك ..» ولا ننكر ان أصحاب الصحف المعتبرة كالهلال والمقتطف والمقطم والأهرام غير راضين عن خطأ الجامعة وفتحها أبواب التعصب في المسلمين وهم يبعدون عن جعل تحتهم دينية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ الفلسفة القديمة وابن رشد ﴾

فلسفة المتقدمين من اليونان والعرب الذين جروا على آثارهم قد نسخت بالفلسفة الحديثة ولم يبق للبشر حاجة فيها الا من الجهة التاريخية فلا ينبغي تضييع الوقت بالاشتغال بنظرياتها العقيمة الا لأفراد يتفرغون لحفظ تاريخ العلوم ليعرفوا نسبة الماضي الى الحاضر وهؤلاء الأفراد لا يوجدون الا في الأمم الراقية التي أحاطت بالعلوم والفنون العصرية التي عليها مدار العمران لأن حفظ سلسلة الفلسفة والعلم من الأمور التي يسمونها كمالية وأمامها مرتبتا الأمور الضرورية والامور الحاجية

ولا يخفى ان أهل هذه البلاد لا يزالون في المرتبة الأولى فلا يجوز ان تشتغل أفكارهم بالمرتبة الكمالية لأن ذلك تضييع للوقت وافساد للفكر . فالاشتغال بنشر فلسفة ابن رشد وأمثاله بين المتعلمين وترغيبهم فيها ضارٌّ بهم ولو كان ضروريا أو حاجيًّا لطلبوه بسائق المنفعة وقرروه في مدارسهم

نعم ان ابن رشد عالم متكلم إسلامي كما هو فيلسوف فما كتبه في نسبة الفلسفة الى الدين يلزم أن يطالع عليه المشتغلون بعلم الكلام في الأزهر وغيره من المدارس الدينية وذلك هو كتابه (فصل المقال) المطبوع بمطبعة المؤيد . ولا بأس للمتوغل في علم الكلام من النظر في كتابه تهافت التهافت بعد النظر في كتاب تهافت الفلاسفة للامام الغزالي وكلاهما مطبوع يتصر في كتاب واحد وثمنه بخس

ولا يسع العاقل أن يعتد في فلسفة ابن رشد — اذا هو ارادها — على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رنان أو من الكتب العربية فان صاحب الجامعة شاب لم يتم الاستاذية بعلوم المدارس في مدرسة كفرعمه ولا يفهم هذه الفلسفة ولا هو حسن القصد في بيان ما يفهمه كما علم من مقالة (الاسباب والسنن) المنشورة في هذا المنار ويعلم مما سننشره في اثبات ان دين الاسلام مبني على العقل كما صرح القرآن الكريم وقد زعم صاحب الجامعة ان الامام الغزالي وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أي بخلاف ما ينطق به كتاب الله تعالى (حاش لله)

﴿ القوى الادبية فى الشرق ﴾

يقول من يدعي القيام باحياء الآداب في الشرق بلسان صديق له مجهول إن الشرق في حاجة الى القوى الأدبية ولم يبين ما هي تلك القوى بالنص ولكنه ينبئنا بالفحوى وهي الكذب وسوء الظن والخوض بالاعراض ومكافأة المحسن بالاساءة

www.alukah.net شبكة الألوكة

والنميمة والبهتان للتفريق بين الصديق وصديقه والرصيف ورصيفه والأستاذ وتلميذه

أما الكذب فمنه نسبته ما كتبه في هذا الموضوع لغيره مع ان العبارة والأسلوب والفحوى تشهد كلها بأن ذلك له والا فمن هو ذلك الكاتب الذي يسمع عندنا القول من فلان ويسمع نقيضه منه عند ذلك المدعي ؟ ومنه أنه حكى عنا من الطعن في بعض الأصحاب والرصفاء ما نعلم انه لم يقع ونقيس عليه ما حكاه عنهم فنعلم ان كل ما قاله كذب اه الخ

وأما سوء الظن فمنه أنه جزم بأن الذي أفشى سره المنبئ بسوء قصده وبعزمه على الاستمرار في عمله السيئ هو ذلك الأديب الذي ينوّه به ويمدحه ويدافع عنه والحقيقة ان السر انما ظهر من قطر غير القطر المصري فكان على محبي الآداب في الشرق أن لا يجاري ظنه السيئ في صديق له ويحمل عليه تلك الحملة المنكرة

وأما الخوض في الاعراض فمنه أنه أوهم ان صديقه الذي أساء الظن به كان مستخدما قبل ما هو فيه الآن من العمل التجاري في موضع لا ينبغي التصريح به وانما يشار اليه بالنقط ... مع ان الرجل لم يكن مستخدما الا في شركة الاسواق .

وأما مكافأة المحسن بالاساءة فمنها وهو أظهرها معاملته المشار اليها آنفاً مع صديقه الذي كان متفانياً في مساعدته ، ومنها معاملة غيره من المحسنين بالاحاجة الى التصريح به ويعرفه من يعرف الرجل وسيرته

وأما النميمة والبهتان فمنها زعمه ان فلاناً كان يقول في فلان كذا ويذم عمله وكذلك الآخر ولو كان كل ذلك صحيحاً لوجب كتمانه فكيف يصرح به محبي آداب الشرق وهو أفك صريح وبهتان عظيم وهذه النميمة والبهتان قد عزيت الى أسماء صريحة

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

الدولة العلية في اضطراب من زلازل الفتن في مكدونية والحاح الدول عليها بوجوب الاصلاح ومن مطالبة انكلترا لها بالاذن لسفنها الحربية أن تمر في الدردنيل والبوسفور عند الحاجة كما أذنت لبعض السفن الروسية

والدولة المراكشية في خطر عظيم من خارج يدعى (أبا حمارة) خرج على السلطان يحاول نزع الملك منه ، وقد كبرت فتنة هذا الخارج وقويت عصبيته لأن الاهالين نفروا من السلطان عبد العزيز لما يرون من ميله الى الاجانب وتنافسه في زخرف مدنيتهم ، ولا شك ان السلطان عبد العزيز لم يسلك طريق الحكمة فيما وجه اليه وجهه من تغيير حال بلاده أو اصلاحها كما يقولون ، وقد كنا نصحنا له ولحكومته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالاستعانة بالدولة العلية على الاصلاح العسكري والعلمي يطلب رجال من العثمانيين المخلصين يقومون بالاصلاح — والمنار يرسل دائما الى ناظر خارجيته ولكن هذا التقاطع بين ملوك المسلمين وأمرائهم هو أصل كل بلاء ابتلوا به .

هاتان الدولتان الاسلاميتان مخطربتان وبقية البلاد الاسلامية وادعة ساكنة ليس فيها شئ يؤثر ، ولا حادث يذكر . اللهم الا الهند ومصر . فأما الهند فقد احتفل فيها من عهد قريب بتتويج ملك الانكليز ونسيبه أمبراطور الهند وهذا الاحتفال يسمونه (الدربار) ويكون في مدينة (دلهي) عاصمة الهند الأولى . وتلا هذا الاحتفال احتفال آخر بمؤتمر التربية الاسلامية وهو خير ما يعمله المسلمون في هذا العصر لانه انفع الاشياء لهم . وأما مصر فقد احتفل فيها ثلاثة احتفالات عظيمة في مدة قريبة أحدها الاحتفال بدار الآثار والعاديات المصرية وثانيها الاحتفال بالخزان الذي بني في أسوان وثالثها احتفال المؤتمر الطبي الدولي المصري وانما نتكلم عن الاخيرين بموجز من القول

﴿ المؤتمر الطبي الاول بمصر ﴾

الغرض من هذا المؤتمر دراسة أمراض البلاد الحارة ولاشك ان مصر خير مكان يصلح ان يؤمه أطباء أوربا لهذا البحث وقد اشتركت فيه الدول العظيمة رسميا وأرسلت مندوبين عنها يحضرونه . وقد افتتح المؤتمر عزيز مصر العباس في الملهى الخديوي (الأوبرا) في ١٩ رمضان (١٩ دسمبر) الماضي فخطب خطبة فرنسية رحب فيها بأعضاء المؤتمر وشكر الحكومات والمجامع العلمية التي لبت دعوة حكومته وأرسلت مندوبيها الى المؤتمر وما قاله « يجدر بي أن أفتخر بأن بلادي قد اهتمت اهتماما حقيقياً بالسير في سبيل التقدم وفيما هو صالح ونافع لنوع الانسان ولذلك جعلت مساعي موجهة دائما الى المحافظة على سيرها في هذا السبيل » .

وقد تكلم الناس في أمرين أحدهما كون خطبة الامير بالفرنسية دون لغة حكومته الرسمية (العربية) وجهل هؤلاء ان هذا الاحتفال لو كان في روسيا لما خطب القيصر فيه الا بالفرنسية التي يفهمها كل الذين يخاطبهم . وثاني الأمرين ان مختار باشا الغازي لم يحضر المؤتمر ولم ترسل الدولة العلية مندوبا آخر من الأطباء . ويقال ان هذا المؤتمر لا يرضي الدولة العلية لأن من شأن مثله ان يكون في البلاد المستقلة وكأنها ترى ان الواجب [illegible] الحكومة المصرية بنفسها .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ الخزان — أو — سدّ أسوان ﴾

اقامة السدود على الأنهار لحفظ الماء الذي يحتاج اليه في ريّ الارض قديم في البشر وكان العرب من السابقين اليه تصوّراً وعملا فسدّ مأرب في بلاد سبأ مشهور أمره . وكان في دولة العبيديين في مصر من تصوّر بناء سدٍّ للنيل ولم يبرز ذلك للفعل . ثم أن نابليون الأول تصور هذا العمل وأراده وتكلم فيه من بعده كثير من المهندسين ولم يتم الا في زمن هذا الامير (العباس) وبأيدي الموظفين في حكومته والمقاولين في بنائه من الانكليز . وقد وضع الحجر الأول من سدّ أسوان في ١٢ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ وضمه دوق كنوت اخ ملك الانكليز ووضعت زوجته الحجر الأخير منه في ١٠ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٢ وقد كتب على كل من الحجرين بالإنكليزية اسم واضعه والتاريخ وكون السنة سنة كذا من حكم سموّ (الخديو عباس حلمي)

طول السدّ من الشرق الى الغرب الفا متر وسمكه من أسفله نحو ثلاثين متراً ومن أعلاه ٧ أمتار ويزيد ارتفاعه عن سطح الماء عند انخفاضه على ٢٠ مترا وفيه ١٨٠ مصبّاً للماء سعة المصب نحو ٣ أمتار من الأمام ومتران من الوراء في الغالب ولها أبواب تفتح وتغلق بحسب الحاجة لحبس الماء واطلاقه . ويبلغ ما يمسكه السدّ من الماء مليارا أو ٦٥ مليون متر مكعب أو مليارا و ١٤٠ مليون طن . وهي تفتح وتغلق بالآلات الكهربائية . وأما منافع السد المقدرة فهي عظيمة جداً منها احياء أرض واسعة تقدر بمئات الالوف من الفدادين ومنها التمكن من زرع نحو نصف مليون فدان مرتين في العام وذلك مما لا يزرع الآن الا مرة واحدة ومنها سدّ العجز الذي يكون من انخفاض النيل في بعض السنين .

ومن تتمة منفعة هذا السدّ انه بني في أسيوط قناطر كالقناطر الخيرية عددها ١١١ قنطرة عرض كل قنطرة خمسة أمتار وارتفاعها من قاع النهر الى السطح ١٢ متراً ونصف وسمكها عند القاعدة ٢٦ متراً وفائدتها اصلاح الري فيما تحت أسيوط من الوجه القبلي

اما الاحتفال بفتح الخزان فقد كان في رمضان الماضي ودعت الحكومة اليه وكلاء الدول وكبار الموظفين والوجهاء وكثيراً من الافرنج وكان الامير دعا دوق كنوت وزوجه . وابتدأ الاحتفال ناظر الاشغال العمومية حسين فخري باشا بخطبة فرنسية ذكر فيها وجه الحاجة الى السدّ بالاجمال والعناية في بنائه فأجابه الأمير بخطبة فرنسية وجيزة اعترف فيها بعظمة العمل وأثنى على الناظر واعوانه الموظفين الذين شكر لهم همتهم في مساعدته وقال « وانه ليسرّني كثيراً أن أرى حكومتي تتبع اعز رغائبي وأخص مبادئ فتبذل كل الجهد في جلب الخير والسعادة للبلاد »